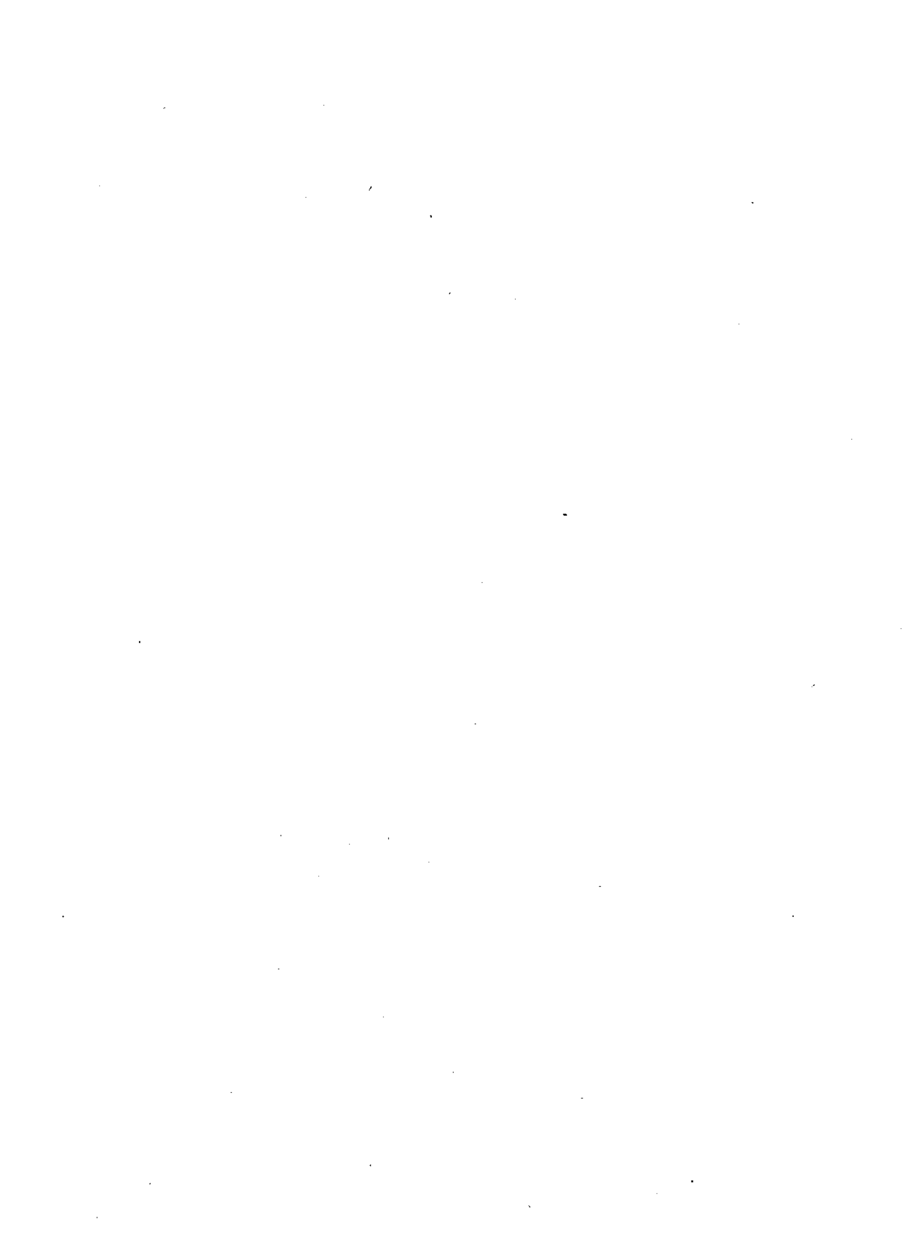
آن هامبسون

ضحيّة!

مكتبة زهران

جمهورية مصر العربية
١٥ شارع الشيخ محمد عبده - خلف الجامع الأزهر
ت : ٢٥١٤٢٩٥٥ - موبايل : ٠١٢٣٣٧٨٦٤١٨





روايات عبير

منذ صدور هذه الروايات في العالم العربي، بعدما طالعها القراء عبر جهات الأرض الأربع، ونحن نتلقى التهاني والتشجيع ورسائل الشذى الطيبة من كل مكان.

لأن هذه الروايات بطاقات سفر ذهاباً فقط الى عالم النقاء العاطفي وصفاء الأحلام، ولأنها لمسة نسيم بالغة الرقة، ورفيقة المطالعة المفضلة لدى الملايين في العالم كله.

اربطوا حزام الأمان فالرحلة الى عالم الحب تبدأ في الصفحة التالية!

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية
FLAME OF FATE

ضحية

١ - ألانا قررت ان تبقى وحيدة بسبب الصدمات المتتالية التي جعلتها تشك في الزواج وترفض كونون مافيليس وحبه الصادق. وتتمنى ان تعرف الآن، ماذا فعلت به الأيام؟

- هل تقبلين الزواج مني؟

كان ماكس هو الذي يسأل. ومن غير ان تدري، تراءى لألانا ذلك اليوناني الجميل، ذو القوام الطويل الرشيق، الذي مضت ثماني سنوات منذ صدته نهائياً، وخرج من حياتها الى الأبد.

ومع ذلك فهي لا زالت تستعيد صورته، كان اسمر اللون مهيباً، بهي الطلعة. تبدو على وجهه علامات الصدق والقوة. لم تعبث بفتنته تجاعيد الهموم، ولا مرارة الخيبة والفشل.

أما عيناه الرماديتان فقد كانتا داكنتين تميلان الى السواد، ثاقبتين يشع منهما الذكاء، يبدو الصدق في اعماقهما، والثبات في نظراتهما.

فكه كان مشدوداً قوياً، ولكن كثيراً ما يتراخى عندما يرسل الضحكات

المرحة. كما ان وجهه كان يبدو فيه اللين والرقة دائماً. خصوصاً عندما كانت تداعب الابتسامة شفتيه.

انه اجمل من شاهدت في حياتها. لم تره فتاة الا وتمنت الزواج منه، هذا ما لم تستطع ألانا ان تنكره. ولكنها مع ذلك رفضته. رفضته لا لأي سبب، الا لموقف اتخذته هي ضد الزواج، بسبب فشل زواج اختيها. فاختاها فتاتان جميلتان فاتنتان، تزوجت كل منهما زواجاً موفقاً، كما كان يبدو في حينه.

فقد تزوجت اختها سالي من شخصية مرموقة، رجل ذي لقب رفيع، كثير الغنى. اما اختها الثانية ماجي فقد كان زوجها مخرجاً سينمائياً واسع الثراء ايضاً.

وكانت والدتها السيدة ونتوورث، تقول لها، «اتمنى لك زيجة جيدة مثل اختيك. وعندئذ اكون اسعد ام في العالم».

ولكن على غير ما كانت تتوقع الوالدة ولأسفها الشديد فان زواج ابنتها ماجي باء بالفشل. فقد احب الزوج امرأة اخرى، مقتنعاً ان المال يمكن ان يعوض عن الخيانة الزوجية. فأعطاها منزلاً ودخلاً ثابتاً تعيش منه مدى الحياة.

ولما كانت ماجي تحب هذا الزوج الخائن، فقد اصيبت عند معرفتها بهذه الكارثة بآلام مبرحة، ادت الى اصابتها بانهيار عصبي لازمها اكثر من سنتين.

اما الأخت الثانية سالي، فبعد زواجها بخمسة شهور، اكتشفت ان لا توافق بين طباعهما، وتأكدت انهما لا يمكن ان ينجحا في حياتهما معاً، ولذا تم الانفصال بينهما برضى الطرفين.

ولما عرفت ألانا بفشل زواج اختها سالي أيضاً، قالت لأمها:

- لن اتزوج يا أمي وسأبقى عزباء. فأي معنى في ان يقيم المرء علاقة ليس لها من الحظ ان تدوم الا مؤقتاً؟ لا، لن افعل ذلك.

- على اية حال، فكلتاهما أثريتا بالزواج، ولن تضطرا الى العودة الى العمل ثانية.

لم تعلق ألانا على كلام أمها. ولكن لم يكن الزواج في رأيها وسيلة للارتزاق. فهي من هذه الناحية تحظى بوضع جيد كسكرتيرة السيد ماكس

نيولاند، رجل الأعمال الناجح البارز الثري.

كانت اعماله الواسعة تحتم عليه التنقل خاصة في اوروبا، والشرق الأوسط. وألانا ترافقه دائماً. ففي ذات يوم ألمح لها ماكس حول امكانية زواجها وتركها العمل معه، ولكنها اخبرته بأنها مقتنعة بحياتها ولا تفكر بالزواج مطلقاً.

وماكس هذا كان يعيش نمطاً من الحياة مليئاً بالحيوية والنشاط، فقد كانت له علاقات متتالية مع فتيات فاتنات، اولئك اللاتي يصادف ان يلتقي بهن بحكم عمله، او اثناء رحلاته.

وألانا بوصفها سكرتيرته الخاصة كانت مطلعة على جميع تصرفاته، وكان عليها ان تكذب في كثير من الأحيان، لتحرر رئيسها من مواعيد ندم على تحديدها. كما انها اعتادت على رئيسها وأساليبه. فكلاهما يفهم الآخر جيداً.

ولم ينس ماكس ان يدعو ألانا نفسها في عديد من المرات، الى حفلات رقص، او فنادق فخمة لتناول طعام العشاء. حتى انه قال مرة لصديق له:

ـ ان كنت سأتجاهل ألانا، واحتفظ بها للعمل فقط، فانها ستتركني بلا شك. ولا اكتمك فأنا لا استطيع ان اقوم بأعمالي من دونها. والحقيقة لا يمكن لأية سكرتيرة ان تحل محلها او تصل الى مستواها في الكفاءة والفعالية، والبراعة والذوق.

ذات مرة، كان ماكس في اليونان لشراء بعض الأراضي والممتلكات، ترافقه سكرتيرته الجميلة، وهي بعد في الثامنة عشرة من العمر حيث التقت بذاك الشاب الجميل المهيب كونون مافيليس، ابن ووريث المليونير مصدّر الفواكه وزيت الزيتون. كونون وهو في الخامسة والعشرين، اعجب بألانا واحبها حباً عظيماً، ولم يتوان عن طلب الزواج منها.

لا شك ان ألانا اخذت بجماله وراقت لها خصاله. ولولا زواج اختيها الفاشل، والوهم الذي سيطر عليها، وجعلها تشك في جميع حالات الزواج، والقرار الذي اتخذته بأن تبقى عزباء، لكانت قبلت عرضه بلا تردد. ولكنها رفضت طلب كونون وصدته بحزم.

قابل عذرها بكثير من الغضب المليء بالشك وعدم التصديق، عندما قالت انها لا تريد ان تخوض مجازفة بدورها، وقد رأت ما حل بأختيها

وزواجهما الذي تحطم.
فقال منفجراً، وهو يحملق بها غاضباً.
ـ انت تعنين ان رفضك هذا فقط بسبب فشلهما؟
اجابت:
ـ نعم كونون، هذا ما اعنيه بالضبط.
ـ هذا سخف منك، ألانا.
واخذ كونون يحاول جاهداً اقناعها قائلاً:
ـ اني احبك ألانا. وأنا أشعر انك ستحبينني ايضاً. زواجنا سيكون موفقاً. وافقي على طلبي، وسأتجاوز هذا الرفض. سأعاملك بكل الحب واللطف والرقة كما تحب الفتيات الانكليزيات. دعينا نتزوج وأذهب بك الى جزيرتي، جزيرة رائعة الجمال، خلابة المناظر. جزيرتي هي الجنة بعينها، هناك النخيل والأزهار، والجبال، والبحر الأزرق الناعم. هناك بيتي، فيللا ليس هناك ما يضاهيها روعة وجمالاً.
توقف لحظة ثم اضاف بابتسامة مشجعة:
ـ دعيني أجعلك سيدة تلك الفيللا، أرجوك ألانا، أنا اطلب منك برجاء ان تقبلي الزواج مني.
ولكن ألانا بقيت قاسية القلب لا تلين.
لم تحفظ اسم الجزيرة، وكثيراً ما كانت تعجب ان كان كونون يعني بالفعل ما وصف به جزيرته. ام انها كباقي الجزر العديدة المنثورة تتألق كالأحجار الكريمة فوق مياه بحر ايجة الزرقاء؟
كم كانت تتمنى ان تعرف، كيف اصبح كونون الآن، وما فعلت به السنون؟ هل تزوج؟ هل كوّن اسرة؟ وان كانت في نفسها تظن انه قد تزوج، فهو شاب تتهافت عليه الفتيات، بالاضافة الى انه ورث اباه بعد وفاته، واصبح واحداً من اغنى اغنياء اليونان. هذا ما علمته من ماكس الذي كان يعرف حكايتها مع كونون.
ـ ألانا...
قطع صوت ماكس المنخفض الواضح على ألانا تأملاتها فرفعت اليه نظراتها مبتسمة، وتابع:
ـ لقد سألتك اهم سؤال في حياتي، ألانا. هل تقبلين الزواج مني؟

هزت رأسها وهي لا تزال تبتسم له ابتسامة حلوة عذبة، وقالت:

ـ أأتزوج من مغازل مثلك؟ عليك الا تبحث في امر الزواج مطلقاً. فمثلك لن يكون زوجاً مخلصاً ابداً.

ـ حقاً لي علاقاتي العاطفية الكثيرة، كما تعلمين، ولكني الآن اصبحت في السابعة والثلاثين، ومستعداً للاستقرار، وانجاب عدد من الأطفال. وانت، ألانا، اصبحت في السادسة والعشرين، وآن الوقت الذي فيه تستقرين، وتكوّنين اسرة.

ـ انت تعرف رأيي من ناحية الزواج.

ـ يا الهي، الا زلت تتشبثين برأيك، بسبب فشل زواج اختيك؟ دعينا الآن من قصتهما، ولنبحث في امر انفسنا. ولا يجب ان ندع اخطاء الآخرين تنعكس على حياتنا.

ـ أنا لا استطيع ان اتزوج، ماكس. ارجوك، انس انك سألتني ذلك. دع صداقتنا المتينة التي دامت ما يقرب من السنوات التسع، على ما هي عليه.

ـ كان هناك فاصل في هذه الفترة، وان كنت اكره ان اذكرك به. ذاك الفاصل هي فترة زواجك.

ـ كفى!

صرخت ألانا وقد صعد الدم الى وجنتيها، وتابعت:

ـ انه لقبيح منك ان تذكرني بذلك!

وتوقفت عن الكلام تستعيد بعض المشاهد من حياتها مع ذاك البغيض، هوارد بيومنت، ثم اضافت:

ـ كانت مجرد فترة قصيرة حررتني منها رحمة القدر.

ـ تحرر سريع ومحظوظ.

وغرق ماكس في خضم أفكاره، وعيناه الزرقاوان عالقتان بألانا. فلاحظ حمرة خديها التي كانت كافية لتزيد من جمال قسمات وجهها. ارتفاع خديها، غمازة ذقنها، نعومة عنقها، عيناها الزرقاوان الواسعتان... كل ما فيها في منتهى الروعة.

وبعد فترة قصيرة عاد الى الكلام:

ـ انها أربعة شهور فقط. نعم لقد كان الحظ حليفك، ألانا.

كانا في قاعة الانتظار في فندق سافوي، ينتظران عميلاً يأمل ماكس ان يبيعه فيللا يمتلكها في مالطة. فحدقت ألانا في وجهه وقد ملأت المرارة والكآبة عينيها الجميلتين، وهي تقول:

ـ هل تظن ذلك؟ يبدو انك نسيت سبب زواجي. نسيت انني اجبرت على ذلك الزواج من ذلك الرجل فاقد الضمير، المجرد من المبادىء الأخلاقية.

قطب ماكس ما بين حاجبيه وقال:

ـ أظن انني نذل، في نبش هذه القصة الآن، او في أي وقت آخر، ولكني اردت فقط ان اذكرك، انك تزوجت من قبل...

قاطعته ألانا غاضبة:

ـ هل تظن انني بحاجة الى تذكير؟

توقفت عن الكلام وقد تمثلت كونون امام عينيها. عندما رفضت طلبه الصادق المتحمس، لا شك ان الاقدار كانت تقف ضدها وتركتها تتمسك بقرارها، ان تبقى وحيدة. ثم تساءلت في نفسها، ترى هل عرف كونون انها تزوجت اخيراً؟

تملكها شيء من الخوف وهي تتخيل غضبه وهياجه اذا عرف ذلك. كما ارتجفت لتصورها ادانته المروعة لها، والتي تستحق في نظره، الحكم عليها بالموت.

الزواج! يا لها من سخرية، من البداية حتى النهاية. سبب رهيب هو الذي اضطرها ان تقبل بما عاهدت نفسها ان ترفضه مدى حياتها. ولكن القدر يحكم على المرء احياناً بما لا يطيق.

نعم لقد تزوجت ألانا، تزوجت لأنه لم يكن أمامها الا ان تفعل ذلك، من اجل اخيها التوأم.

حدث مرة ان اخاها كان في عطلة جامعية، فعمل مع هوارد بيومونت التاجر والممول المشبوه. ووسوس له الشيطان، فاختلس مبلغاً من المال. واكتشف هوارد الأمر، وصمم ان يقدمه للقضاء.

جاء داريل الأخ الى اخته بالدموع، وعلى الفور، صممت ألانا ان تقابل هذا المدعو هوارد بيومونت.

كان هوارد رجلاً بديناً، ذا سمعة معروفة مع النساء، سرعان ما عرفتها

ألانا. مترهل الجسم، له انف منتفخ، وشفتان غليظتان تنطقان بالشر، وعينان ضيقتان مليئتان بالخبث.

رأته شخصاً مثيراً للاشمئزاز، اكثر من أي مخلوق على وجه الأرض. وبالتأكيد مقابل طلبها، طلب من ألانا الزواج . . .

تطلعت ألانا الآن نحو ماكس، ورأت تطلعاته المتسائلة، التي تجاهلتها وهي تتذكر مقابلتها الأولى مع هوارد بيومونت.

كم عانت ألانا من المرارة واحتراق القلب، والخوف المريع قبل ان تقرر قبولها النهائي لطلبه. وكانت صحة والدتها المتدهورة سبباً في تعجيل اتخاذها ذاك القرار. فقد كانت تعاني مرضاً في القلب، يمكن ان يقضي عليها اذا تعرضت لصدمة. وعرف هوارد ذلك، وراح يهدد ألانا بالذهاب الى امها واخبارها بقضية اخيها.

اخبرها هوارد ان عقوبة اخيها السجن لمدة خمس سنوات على الأقل فهو قد زور اكثر من تسع شيكات، بالاضافة الى انه اختلس من خزنته الألوف من الجنيهات، خسرها جميعها في مضاربات هوجاء. ولا شك ان هذه الرواية ستقضي على الوالدة.

ألانا كانت تشك في هذه الألوف التي يقول انها سرقت من الخزنة التي يملكها. فأخوها اعترف انه حقيقة اخذ قليلاً من المال لا يعرف مقداره.

على اية حال فالأمر لم يعد ذا اهمية كبيرة. فألانا تحت ذاك التهديد وافقت على الزواج منه. ووالدتها فرحت كثيراً لذاك الخبر، لأن ابنتها الثالثة تزوجت من رجل غني ايضاً.

جاءت ليلة الزفاف بكثير من السرعة وشعور مقيت من الاشمئزاز، ليلة اقسى من الموت. صعدت الى غرفة النوم، حيث قادتها الخادمة. وهناك جلست تنتظر بكامل ثيابها.

كان الوقت بعد منتصف الليل، عندما سمعت وقع خطواته الثقيلة على الدرج. فوقف قلبها ساكناً بين جنبيها، باردة كالثلج، ترتجف من شدة ما اعتراها من خوف ورعب.

لحظات، سمعت بعدها صوت جسم ثقيل يتدحرج كصوت الرعد من البعيد خلال المبنى الضخم الواسع وكان هوارد قد سقط، وارتمى عند اسفل الدرّج.

وبعد اسبوعين من ذاك الحادث، خرج هوارد من المستشفى، اقل بدانة مما كان عليه. وقد وضع الضرر الذي لحق به من جراء تلك الاصابة، حداً لحياته المليئة بالعشق والهيام والى الأبد.

ولو كان ذلك بعيداً عن الروح الانسانية، الا ان ألانا احست انها تريد ان تجثو على ركبتيها، وتشكر الله الذي خلصها منه. ان تكون انانية، قاسية القلب، فهذا لم يكن يزعجها ابداً، فهو الذي فرض عليها هذا الزواج عنوة، وبالتهديد، حيث لم يكن باستطاعتها مطلقاً ان تمنحه ولو شيئاً قليلاً من الحنان.

لقد كان يهددها بقسوة وهو يقول:

ـ لا تظني انه بامكانك ان تتركيني، فان فعلت فسوف يعود اخوك مباشرة الى القضاء.

وكانت تنظر اليه بازدراء، ولكن باذعان وهي تجيب ببرود:

ـ لن اتركك، فلا تخش ذلك.

كانت امواله اكثر من ان تحصى، حتى ان مساعديه كانوا يرهبون التفكير فيها. ولكن بعد أربعة شهور من يوم الزفاف، يوم توفي هوارد، ترك في وصيته جميع ثروته للمؤسسات الخيرية.

يحق لألانا ان تطعن في الوصية، ولكنها لم تفعل، ولم تأبه بذلك. وكانت فرحتها غنية عن الوصف، وكذلك شكرها للقدر الذي سبق وقسا عليها ثم عاد وحررها مما اوقعها فيه. وكل ما كانت ترغب وتتمنى، هو ان تنزع ذاك الفاصل البغيض من حياتها وتعود الى حيث كانت.

كان ماكس سعيداً جداً بعودتها، ولكن وبشكل طبيعي كان اول ما سألها هو الثروة التي كان يجب ان تكون من نصيبها.

ـ لم يترك لي شيئاً، ماكس. وما كنت أريده ان يفعل. وكل ما ابتغيه الآن هو ان تعيدني الى وظيفتي، وعندها أكون سعيدة جداً.

في ذاك الوقت ألانا وماكس لم يكونا أكثر من رئيس ومرؤوس. ولم يمض على عملها معه أكثر من سنة يوم تم زواجها. على اية حال فقد برهنت تلك العلاقة انها قاعدة متينة لبدء تلك الصداقة التي استمرت حتى تلك الساعة التي كان ماكس يطلب فيها الزواج من ألانا.

كان ماكس قد تعب من حياة اللهو والمرح وتاق الى حياة الاستقرار.

ولذا جاء يعرض على ألانا الزواج مما اثار دهشتها. ولكن رفضها ذاك لا يمت بصلة الى زواجها السابق، فهو لم يكن باختيارها. ولم يكن الحب هو الدافع اليه، ولا من اي من الطرفين. واصرارها على البقاء عزباء، بقي متعلقاً بما حصل لأختيها. ولن يستطيع اي رجل ان يبعدها عن الطريق التي اختارتها لنفسها. . .

اخذ ماكس يعتذر لاقحامه موضوع زواجها قائلاً:

- كان يجب ان اكون اكثر ذوقاً. اتسامحينني، ألانا؟

ابتسمت له، وأحست ان ذاك الفاصل الثقيل قد ازيح من مخيلتها وقالت:

- بالتأكيد، ماكس.

وقف ليشكرها بطريقة غريبة، ثم قال:

- هل تذكرين، بعد الجنازة. . .

توقف فجأة وقطب حاجبيه ثم عاد الى الكلام:

- لقد عدت الى الموضوع ثانية!

- لا بأس، ماذا عن الجنازة؟

- لم أرد ان اواسيك بالكلمات التي كان يرددها الآخرون. لأنني منذ البدء كنت اشعر ان هناك خطأ خطيراً قد ارتكب، عندما اعلمتني بقرارك الذي اتخذته، وموافقتك على الزواج من رجل مثل هوارد. وايقنت ان موته امر مفرح.

احنت ألانا رأسها، فهي تذكر ان ماكس سألها، لماذا قبلت الزواج من هذا الرجل؟

شملها بنظرة اعجاب وهو يتأمل جمالها. وتابع يقول انه كان بامكانها ان تختار. ومما حير الكثيرين من الناس انها قبلت ان تتزوج ذاك الرجل الثري.

ومرة اخرى احنت رأسها، ولأسباب غريبة شردت افكارها نحو كونون مافيليس. ذاك اليوناني البرونزي الذي دفعه حبه الملتهب الى طلب يدها للزواج.

خطر ببال ألانا انه لا بد قد تزوج ما دام على هذا النحو من الجمال والأناقة والجاذبية، لدرجة يستطيع معها ان يجتذب اعين النساء كيفما

توجه، وتفتخر اية فتاة ان ترى معه. وتساءلت، ترى، كيف يبدو الآن؟ كما تساءلت عن السبب الذي جعله يقتحم عليها افكارها، وقالت في نفسها، لعل ذلك بسبب ما اخبرها به ماكس، عن قرب ذهابهما الى اليونان لشراء ارض كبيرة من احد الاثرياء هناك. وايقنت ان ذاك هو السبب الحقيقي، فاليونان وكونون مرتبطان ببعضهما ارتباطاً وثيقاً.

كان ماكس يتحرك بقلق ينتظر رداً على سؤاله الذي طرحه عليها، وعاد يسألها:

- انا اسألك لماذا تزوجت من هذا الرجل؟

- اظن انني الححت لك عن ذلك.

- تلميح! قلت انك اجبرت على الزواج، وهذا كل شيء. اما لماذا اجبرت، فأنا لا زلت اجهل ذلك.

لاحظت الانا شيئاً من الاستياء والغضب في نغمة صوته، وتذكرت رفضها الخوض في مسألة زواجها، بعد ان ألمحت له بالسبب، ولكن يبدو ان تلميح ألانا لم يكن سهل القراءة، كما تظن. ولذا اجابت:

- اخي هو السبب.

قررت ألانا أن تخبره بكل شيء، خصوصاً أن أخاها الآن في اميركا، يعمل كمستشار في مؤسسة مرموقة. وعلى اية حال فإن ألانا تثق بماكس وتأتمنه على أهم أسرارها. وتابعت:

- مرة عمل أخي مع هوارد أثناء احدى العطل الجامعية، فسرق منه بعض المال. وأسوأ من ذلك فقد زور بعض الشيكات.

- يا لله! لم اكن اتوقع شيئاً من هذا! ولو عرفت لكنت قدمت المساعدة.

سكت لحظة ثم تابع وفي صوته رنة عتاب:

- ألانا لماذا لم تأتي الي؟

- كنت اتيت لو حصل ذلك الآن. اما في ذاك الحين... ماكس، كنت موظفة جديدة عندك.

ظل الغضب والاستياء باديين على وجهه، وقال:

- لماذا بحق السماء لم اصر على معرفة السبب في حينه؟

هزت ألانا كتفيها وقالت:

- لم يعد الأمر مهماً.

ـ الآن ليس مهماً. ولكنه كان كذلك في ذاك الحين. فكري فقط لو انه لم يصب بذاك الحادث... او انه لم يمت، تصوري كم كنت ستعانين، مع انه كان يمكنني ان امنع ذلك.

ـ ماكس لم كل ذلك؟ فالقصة انتهت ومضت واصبحت الآن تاريخاً. فلماذا تلوم نفسك الى هذا الحد؟

انطلقت من ماكس ضحكة رقيقة وقال:

ـ لا لشيء، الحق معك.

سكت ماكس لحظة، أشار خلالها لأحد المستخدمين يطلب بعض المرطبات ثم قال يذكر ألانا:

ـ انك لم تجيبيني على سؤالي الأساسي، ألانا. حقاً انها غلطتي، فأنا الذي خرجت عن الموضوع. ومرة اخرى، هل تقبلين الزواج مني؟ فكلانا يعرف الآخر معرفة تؤكد ان زواجنا سيكون موفقاً.

سألت ألانا باستغراب:

ـ وهل هذه المعرفة تكفي؟ ألا يجب ان يحب احدنا الآخر؟

ـ اظن اني احبك...

افترت شفتا ألانا عن ابتسامة حلوة عذبة وهي تقول:

ـ تظن ؟ انني اتساءل كم من الزيجات نجحت في مثل هذه الحال؟

ـ على الأقل انا صادق.

ثم سكت برهة، وقد اشرق وجهه بابتسامة رقيقة. نظرت ألانا اليه متفحصة، فقد كان وجهه مريحاً كالمعتاد... عريض الجبين، ذا شعر اشقر خفيف. ولم تستطع ألانا ان تنكر ولو بينها وبين نفسها انه رجل جذاب مما جعله محبوباً عند النساء. كان انيقاً في ملبسه، يملك سيارة فخمة فضية اللون وبيتاً على احدث طراز مفروشاً بأجمل الأثاث، تحف به جنائن فسيحة رائعة الجمال. كما ان هناك مسبحاً فسيحاً رائق المياه مدهونة ارضه وجوانبه بلون ازرق صاف اخاذ. وهو يمتلك ايضاً كثيراً من العقارات الأخرى هنا وهناك.

تابع ماكس كلامه قائلاً:

ـ وماذا عن مشاعرك نحوي؟ انت لا شك تميلين الي. الا تظنين انه بشيء من المحاولة، يمكنك ان تشعري نحوي بنوع من العاطفة؟

بقيت الابتسامة تعلو شفتيه، وايقنت ان رفضها سيغضبه اكثر مما يؤلمه، فقالت:

- لن اتزوج احداً يا ماكس.

كان صوتها هادئاً كعادته وهي تضيف، انه يضيع وقته سدى. واذا كان بالفعل يريد الزواج، فهناك عشرات النساء، يمكنها ان تسميهن له، يسعدهن ان يتقدم اليهن بهذا الطلب.

- هل انت جادة برفضك؟

فأجابت بشيء من الغضب:

- عزيزي ماكس، لا شك انك ترى ذلك.

اخذا يشربان ما قدم لهما، وماكس ينظر الى الكأس التي بيده، متفادياً نظرات ألانا ثم قال:

- اذا تزوجت امرأة اخرى، فانها ستعترض على وجود سكرتيرة جميلة جذابة مثلك معي.

نظرت ألانا اليه بارتياب وقالت:

- هناك امرأة في ذهنك.

صمتت لحظة ثم تابعت:

- وانا لدي فكرة عمن تكون.

- حالياً انت المرأة التي في ذهني.

- ولكن هناك اخرى تأتي في المرتبة الثانية، اليس كذلك؟

خرجت من صدر ماكس تنهيدة خفيفة، ورفع الكأس الى شفتيه. وفجأة نظر الى ساعة يده، وقال بانفعال:

- اين ذاك العميل الذي ننتظره؟ لماذا تتأخر النساء هكذا دوماً عن مواعيدهن؟

- لأنهن يبذلن وقتاً اطول في العناية بمظهرهن.

- في هذه الحالة عليهن ان يبدأن بالاستعداد في وقت مبكر.

كان اقتراحه منطقياً. ولكنه عاد يقول:

- على اية حال، دعينا نعود مرة اخرى الى السؤال الهام في قضية زواجي. فقد كنت اقول. . . انه اذا تزوجت من غيرك، فسأقع في مشكلة اذا احتفظت بك.

ـ عندئذ ستستغني عني، اليس كذلك؟

نطقت بتلك الكلمات بهدوء، ولكن فكرة تركها ماكس ازعجتها كثيراً. فهي لم يسبق ان قامت بعمل آخر. ومن الممكن الا تعرف شيئاً من اعمال المكاتب الأخرى.

لقد سافرت ألانا كثيراً مع مديرها، مما هيأ لها معرفة بلدان عديدة. فكان ذلك ممتعاً لها وباعثاً على اسعادها. وماكس لم يحدث مطلقاً انه وجد خطأ في اي عمل قامت به.

كان يستشيرها ويعتمد عليها في امور كثيرة، حتى انه كان يقول انه لن يرى اية سكرتيرة اخرى تستطيع ان تملأ مكانها بنجاح.

وبعد فترة صمت قصيرة، عادت تقول:

ـ انا لا ارغب في التفكير بانك ستتزوج امرأة تغار مني.

ـ اذن اقبلي بي، ألانا، ودعينا نستمر معاً الى الأبد.

رفعت ألانا حاجبها المقوس الناعم، ونظرت اليه قائلة:

ـ الى الأبد؟ ظننت انك تريد ان تنشىء اسرة.

ـ بالتأكيد، وسيكون لنا طفل او اثنان، ان رغبت.

ـ آسفة ماكس، لن يغريني اي شيء.

قطب ماكس حاجبيه وتأوه، ثم قال بيأس:

ـ اظن انه من الأفضل ان اتخلى عن فكرة الزواج.

نظر اليها، الى شعرها العسلي الطويل، وعينيها الأخاذتين، ووجهها الذي يفيض نضارة وجمالاً، الى يديها الناعمتين، اظافرها اللامعة. ثم اضاف:

ـ شيء جميل ان يكون لي ابن وريث. فأنا املك مالاً وفيراً، ولكن ليس لي من اتركه له.

ـ قلت الحق، شيء جميل ان يكون لك ابن.

قالت ذلك توافقه على رأيه. وهي تذكر انها في كثير من المرات كانت ترى ماكس يداعب ابناء الآخرين. وتابعت:

ـ الواقع كما قلت، فليس لك من تترك له اموالك.

ـ والأعمال العظيمة التي حققتها، وبنيتها بنفسي، حتى اصبحت من افضل الشركات التي من نوعها وأكثرها احتراماً في لندن، أفليس من

المحزن ان تنهار بعد رحيلي؟
فقالت له بلطف:
- امامك متسع من الوقت، فأنت لا زلت في اوج الشباب، وستبقى فتياً ولو بعد عشر من السنين.
لوى شفتيه، وقال:
- لن اكون فتياً بالقدر الذي تظنين. سأكون في السابعة والأربعين، يا عزيزتي.
- هذا العمر ليس متقدماً بالنسبة للرجل. فهذه الأيام تختلف عن أيام القرون الوسطى.
- شكراً لك على مجاملتك ولو اني أشك فيها.
لم تقل ألانا شيئاً، وبعد فترة صمت عاد ماكس يقول لها، ان هناك في ذهنه امرأة اخرى يمكن ان يتزوجها، اذا استمرت هي على رفضه. وتابع وقلبه يخفق بالأمل:
- ولكن سأنتظر، فمن الممكن ان تغيري رأيك.
ولكن امله مات والى الأبد عندما هزت رأسها بالنفي، وهي تؤكد له قائلة:
- لن يكون الزواج من نصيبي، ماكس. فأنا فتاة عزباء، واريد ان ابقى كذلك على الدوام.
والآن جاء دور ماكس ليهز رأسه، وكأنه كان مكرهاً على تلك الايماءة. وكذلك الكلمات التي فاه بها بعد ذلك، كانت تبدو كأنها تخرج من فمه عنوة، وهو يقول:
- سوف تقعين في الشبك في يوم من الأيام، يا فتاتي. وبما اني متأكد من ذلك، فعلي ان اخطط منذ الآن، لليوم الذي ستتركينني فيه.
- ماكس، ارجوك، كن عملياً. انت تعرف جيداً انني لا اريد ان اتركك، واذا حصل وذهبت، فهذا يعني انك انت الذي تريد ذلك. وهذا ما ستفعله اذا تزوجت من مارلين تشاندلر . . .
- كيف عرفت ان هذه هي التي اعنيها؟
- لأنها هي التي ما زالت تحوم حولك. ولأنها الوحيدة التي تظهر غيرة مني. اما الأخريات فقد كن يقبلن بي منذ البداية ويقتنعن بوجودي هنا،

ويبدين لي المودة في كثير من الأحيان.

توقفت ألانا قليلاً عن الكلام، وهي تطيل النظر في وجهه، ثم تابعت:

- ماكس، انا لا اقصد ان اقول شيئاً ينتقص من قيمة مارلين، ولكن كل ما اريد قوله ان غيرتها كانت دائماً بادية للعيان.

- اظن انك لا تعتقدين انها مناسبة لتكون المرأة الثانية في ذهني.

ابتسمت ألانا وهي تفكر في مارلين الفاتنة، وتتساءل، ماذا سيكون تأثير هذه المناقشة عليها لو كان بامكانها ان تسمعها؟ وقالت:

- ماكس، انها مشكلتك. انت الذي تعرف ان كانت مارلين مناسبة لك ام لا.

صمت قصير مر بينهما، ثم تابعت:

- ان نظرة النساء للنساء تختلف عنها عند الرجال. مارلين لا تحبني، وهذا لا يعني انها خبيثة او حقودة، او اي شيء اخر من هذا القبيل. من الممكن ان احس نحوها بالمثل، لو كنت مكانها.

سكتت ألانا برهة، ولما لم تسمع منه تعليقاً على كلامها، اضافت قائلة:

- نعم، يجب ان نفترق اذا تزوجت منها. وكذلك يجب ان ابدأ بالبحث عن وظيفة.

قطب ماكس حاجبيه، وخرجت من صدره تنهيدة حرّى، ثم قال:

- لا بد اني سأتزوج في يوم من الأيام.

- انك لم تجبني على سؤالي.

خرج صوتها لطيفاً ناعماً، وهي تتابع وتسأله:

- هل ابحث عن وظيفة اخرى؟

خيم عليهما صمت طويل، ثم قال متذمراً:

- اذا جاء احد، فلن اقف في طريقك. ولكني اريدك ان تبقي معي اطول مدة ممكنة.

- اذن ستتزوج من مارلين. أليس كذلك؟

- نعم، اظن ذلك.

- في هذه الحالة، من الأفضل ان ابحث عن وظيفة منذ الآن. لأنه في اللحظة التي ستلبس فيها مارلين خاتم الخطوبة ستطلب منك ان تتخلص مني.

ولما لم يبد ماكس احتجاجاً سريعاً على ذلك، كان من الواضح انها لم تخطىء الحكم، بالنسبة الى امتعاض مارلين من مكانة ألانا عند ماكس وصداقته لها.

وبعد برهة صمت، قال:

ـ ليس مباشرة. فأمامنا متسع من الوقت، لن اتزوج الا بعد مدة ليست قصيرة. سوف نعلن الخطوبة اولاً بالطبع. وهناك بعض الأمور يجب ان انهيها قبل ان ادعك تذهبين. خصوصاً موضوع تلك الأرض التي الاحقها واريد ان اشتريها. تلك الأرض التي اخبرتك عنها.

ـ في اليونان؟

ـ تماماً.

تردد ماكس قليلاً، وألانا تنظر اليه بحيرة. ولكنه تابع:

ـ الرجل الذي آمل ان اشتري منه الأرض، يعيش في جزيرة كاليمنوس. بينما مصانعه وكروم العنب، وغيرها، وغيرها جميعاً في اماكن اخرى من البلاد.

ـ حسناً، هل ستذهب الى كاليمنوس هذه؟

أحنى رأسه والقلق باد عليه، والحيرة التي تكتنفه كانت غير عادية. وبعد تردد قال:

ـ نعم سنذهب الى هناك...

ـ ماكس، ماذا هناك؟ اكمل.

ـ لقد التقيت مرة بالرجل الذي اتوقع ان اتعامل معه.

سرى الشحوب في وجه ألانا، وقالت على الفور:

ـ كونون مافيليس.

كانت الحقيقة. ومعرفتها اسم الشخص، لم يكن امراً صعباً، طالما ان كونون هو اليوناني الوحيد الذي التقت به في حياتها.

ـ نعم، هذا صحيح. الرجل الذي اراد مرة ان تتزوجيه. هل تذكرين؟

ـ نعم، اني اذكر.

كان مستحيلاً عليها ان تنساه. شخصيته الساحرة كانت معها في تلك اللحظة، وكأنه في كل مكان من غرفة الاستراحة التي تجلس فيها في الفندق.

وبعد وقفة قصيرة، تابعت كلامها:
- بالتأكيد، اني اذكر. هل رأيته مؤخراً؟
- لم اره منذ رأيته انت، ولكننا نتبادل الرسائل بانتظام خلال الأسابيع القليلة الماضية...
قاطعته ألانا باستغراب:
- تتبادلان الرسائل؟ ولكني لم ار اية رسالة منه!
تطلع ماكس بعيداً في الفضاء متفادياً نظراتها، ثم قال معتذراً:
- انه هو الذي اراد ان يتم هذا العمل سراً، وهكذا اجبت على رسائله بنفسي.
نظرت اليه بحيرة، فقد كان من مهمتها ان تطلع على جميع مراسلاته. على اية حال فله الحرية ان يخفي عنها بعض الأمور، ان كان يريد ذلك.
وتابع ماكس كلامه فقال:
- لقد عرض علي جزءاً من اراضيه. فهو يعرف انه يسرني ان اشتري ارضاً في اليونان.
قطبت ألانا حاجبيها وانتابها شعور لم تستطع تفسيره. فهناك رائحة سر غامض في هذه العملية.
فهي لا تستطيع ان تتخيل ان كونون يعرض ارضاً للبيع. لأن في هذا حطاً لكرامته. بالاضافة الى ان كونون ليس بحاجة الى بيع ارضه.
قالت ألانا:
- ان الأمر يبدو غريباً بالنسبة الي. هو طلب منك ان تسافر اليه لتعاين الأرض.
- انا اعرف الأرض، ورأيتها منذ سنوات. ولكني ذاهب لأشتري الأرض اذا تم الاتفاق على السعر. هذا كل ما في الأمر.
لم تقل ألانا شيئاً، ولم تدر لم اخذ قلبها يخفق بسرعة. فاللغز يبدو اكثر عمقاً.
واما ماكس فقد اضاف:
- لقد سأل عنك. فهو يبدو...
- سأل عني؟ كيف عرف انني لا زلت اعمل معك؟
- رسالته الأولى كانت تحوي استفساراً عنك. فقد سألني ان كنت لا

زلت تعملين معي. واذا كان كذلك، فهلا زلت ترافقينني في اسفاري العملية البعيدة؟ اخبرته انك لا زلت تعملين معي، وانك ستسافرين برفقتي اذا انا ذهبت لمقابلته.

تحذير داخلي جعلها تقول باندفاع:

ـ هل يهمك اذا كنت لا اريد ان ارافقك، ماكس؟ اني افضل الا ارى كونون ثانية. . .

ولكنها توقفت مدركة سخف طلبها. فهو يحتاجها في مثل هذه العمليات.

وعلى اية حال، فلماذا تخشى لقاء كونون مرة اخرى؟ ولذا تداركت الأمر، وعادت تعتذر:

ـ اني آسفة، انا لا ادري ما الذي جعلني اقول ذلك. بالتأكيد سأرافقك.

حدق ماكس النظر فيها، وقال:

ـ من الطبيعي ان احتاج اليك هناك.

وتردد لحظة قبيل ان يضيف:

ـ انها فرصة لا تعوض. انت تعرفين ذلك. لسن كثيرات من يجعلن مثل هذه الفرصة تفوتهن، ويرفضن مثل هذا الرجل.

ـ كنت معارضة لفكرة الزواج في ذاك الحين.

ـ في ذاك الحين؟

ردد ماكس كلماتها ورنة امل تبدو في صوته.

ـ تماماً كما انا الآن.

قالت ذلك وكأنها تواصل كلامه. ورأته يهز كتفيه باذعان، عندما استدار بناظريه الى القنطرة الواسعة التي بدت عميلته آتية منها في تلك اللحظة. واصبح اكثر اهتماماً بالعمل الذي سيناقشه مع السيدة التي تركته ينتظر مدة طويلة. اما ألانا فقد عادت في أفكارها الى كونون وتساءلت:

ـ هل هو متزوج؟

انطلق السؤال من بين شفتيها قبل ان تستطيع حبسه.

ـ لم يخطر لي ببال ان اسأله.

اجابها رفيقها بجفاء. ثم اضاف:

ـ على اية حال ستكتشفين ذلك عندما تصبحين هناك.

صعد الدم الى وجهها ملوناً اياه بلون الورود، ولحسن حظها تقدمت العميلة منها في تلك اللحظة وهي تعتذر:

ـ اني آسفة.

بدأت القادمة في الكلام، عندما هب ماكس واقفاً لاستقبالها:

ـ اخشى ان اكون قد تأخرت عليك قليلاً. انها دقيقتان، او ما يقارب ذلك.

ثم نظرت الى ساعة يدها، وهي تؤكد:

ـ لا اكثر، أليس كذلك؟

ـ لا اكثر من ذلك!

ردد ماكس كلماتها موافقاً، بطريقته الجذابة المعتادة التي يؤثر فيها على الزبائن، ويجعلهم يحسون بالارتياح. ثم تابع كلامه:

ـ على اية حال، انه لمن دواعي سروري ان انتظرك.

نظر الى ألانا وهو يغمز بطرف عينه، ثم رفع يده يدعو المستخدم، ويسأل القادمة عما تريد ان تشرب...

٢ - ماذا حل بهذا الرجل الذي وصفته ألانا ذات يوم بأنه اجمل من رأته في حياتها؟ هذا التحول المفاجىء لا يمكن ان يكون الا نتيجة صدمة عميقة. . .

كانت السماء لا تزال تتشح بالظلام عندما بدأت الطائرة رحيلها نحو مطار رودس ، فماكس وألانا اضطرا للسفر على أول طائرة تقلع قبل ان يبزغ الفجر، لأنه لم يكن هناك متسع لهما على الطائرة التالية. ولذا كان عليهما ان يقضيا في رودس طيلة بعد ظهر ذاك اليوم وليلته.

لم يزعجهما ذاك السفر المبكر مطلقاً، فرؤية جزيرة جميلة مثل جزيرة رودس شيء ممتع وجميل.

سارا على طول شاطىء ماندراكي، واستمتعا بنسيم البحر العليل. كما تجولا في الحدائق المليئة بالأزهار ذات الأريج العطر آملين الا ينزل المطر.

ثم تناولا عشاءهما في الفندق الذي قررا ان يقضيا الليل فيه. وفي صباح اليوم التالي، في تمام العاشرة، أبحرت السفينة بهما الى جزيرة كاليمنوس.

كانت الشمس تتوهج في كبد السماء، بينما كان ماكس يمضي بعض الوقت في التحدث مع رجل التقى به. اما ألانا فقد جلست على ظهر المركب، محاولة القراءة.

لكنه كان من الصعب عليها ان تفعل، فصورة كونون كانت تتراءى امام عينيها، فتحجب ما بينها والصفحة المكتوبة. فها هي ستلتقي بكونون مرة اخرى. ولا شك سيشعران بالحرج والارتباك عندما يلتقيان. او ربما هي التي ستشعر بعدم الارتياح لذاك اللقاء.

فهي تذكر ولن تنسى كم كان يتمتع بالثقة ورباطة الجأش، حتى وهو في الخامسة والعشرين، مما كان يجعلها وهي في الثامنة عشرة تحس انها اقل منه شأناً، ربما لأنها كانت صغيرة. اما لماذا ستشعر الآن فهذا ما تجهله.

استعادت في مخيلتها ما اصابها من خجل عند لقائها الأول بكونون، على مأدبة غداء صغيرة اقامها ابوه لبعض رجال الأعمال. كان ماكس احد المدعوين، واصطحب معه سكرتيرته. وهناك وقعت عينا كونون على وجه ألانا.

لاحظت ألانا التغيير المفاجىء الذي طرأ على تعابير وجهه، على نظراته. فقد كانت ثابتة باردة تلك النظرات التي كان يتنقل بها من شخص الى اخر متفحصاً، حتى تحولت الى نظرات تشع بالحيوية مليئة بالاعجاب.

اغضت ألانا حياء، وقد سرى الاحمرار في وجنتيها آنذاك، نعم انها لتذكر، وتذكر ذلك جيداً. ولما اتجه نحوها بخطواته الواسعة، ازداد خفرها وازداد احمرار وجهها، وصدرت عنها حركة كمن يريد ان يهرب. ولكنه كان اسبق اليها قبل ان تفعل.

ابتسم لها بعذوبة، واحنى رأسه امامها بلطف محيياً. وهكذا بقيت ألانا حيث كانت، صامتة، وكونون ينظر اليها من غير ان تفارق البسمة شفتيه.

جاء ابوه على الفور، وكذلك فعل ماكس، وتم التعارف ولكن بعد قليل كان كونون وألانا وحيدين يجلسان في زاوية من غرفة الاستراحة، في الفندق الذي اقيمت فيه المأدبة. تحدث اليها بمودة كأنه صديق حميم. وبعد تناول الغداء، اقترح عليها التجول في انحاء الفندق.

سألته ألانا:

ـ هل لديك من الأعمال ما تقوم به هنا؟

اما كونون فقد هز رأسه واعلمها أنه جاء فقط كي يبعث الفرحة في قلب ابيه. غير انه الآن مطلق الحرية يمكنه ان يفعل ما يشاء. وانه لا يستطيع مقاومة الرغبة في مرافقتها. ووجدت ألانا نفسها توافق على طلبه.

انها لا زالت تذكر جمال الحدائق التي مرت بها تتألق بألوان الأزهار الغريبة، واريجها يعطر الهواء. والأشجار تتمايل بصمت نشوى بتلك الرائحة.

كان لهذه المشاهد الساحرة أثرها على نفس ألانا فهزت عواطفها، وشعرت بقلق يخامر صدرها. فما لاحظته في هذه الفترة القصيرة في كونون انه سريع في اتخاذ قراراته، ومع ان ما بينهما كان بداية بسيطة لنشوء صداقة، الا انها توقعت ان يطلب منها الزواج. أذهلتها هذه الفكرة، وخشيت من نتائجها، ولذا نجحت في التهرب منه في الأيام القليلة التي تلت، الى ان قبلوا دعوة اخرى الى اجتماع يبحثون فيه بعض الأعمال.

اراد ماكس ان يصحب ألانا معه. وكان على ألانا ان تكذب. فاعتذرت عن الذهاب بحجة مرض ألمّ بها. وهي تعرف انه يحسن القيام بالعمل من دونها. وعند عودته بلغها سؤال كونون عنها، وما بدا عليه من قلق عندما علم انها على غير ما يرام.

ضحك ماكس وكان في ضحكه شيء من التلميح، لم يرق لألانا. ثم اخذ يحدثها عن كونون. فعرفت منه، انه ابن اغنى رجل من اصحاب المصانع في انحاء اليونان. لم تبالي ألانا بهذه الأخبار وكل ما يهمها ان يعود بها ماكس سريعاً الى انكلترا، قبل ان تلتقي بكونون ثانية.

ولكن ما حدث كان غير ذلك. فان كونون اتصل بالفندق الذي تنزل فيه يسأل عنها. ولما كان ماكس قد خرج مع فتاة يونانية جذابة، صدف ان التقى بها، دعا ألانا الى العشاء وقضاء سهرة راقصة. وهكذا قبلت الدعوة، وبالرغم من ان قوة خفية في داخلها كانت تدفع بكلمات الرفض الى شفتيها الا ان هاتين الشفتين حورتا الكلام، وتبدل الرفض بالقبول. فشخصية كونون كانت قوية جداً، وجاذبيته لا تقاوم.

لا تنكر ألانا انها استمتعت بتلك الأمسية كثيراً، فقد رافقت كونون الى فندق على شاطىء البحر، حيث تناولا طعامهما تحت السماء المتألقة في ضوء القمر، وكذلك اخذت النجوم تسترق النظر اليهما وهما يرقصان على شرفة

واسعة مزدانة بالأزهار.

خفق قلب كونون فترك له العنان، ولكنه لم يتكلم. وظل صامتاً. وبقيت ألانا صامتة.

وكان اليوم التالي وظهر كونون ثانية. وطلب من ماكس ان يصطحب ألانا معه. ولما كان الرد بالايجاب، التفت اليها، وبمنتهى الثقة بالنفس وروح التملك قال:

ـ اذهبي واستعدي للخروج. وسأنتظرك هنا.

رفع ماكس حاجبيه دهشة، وألانا تقف هناك غير مصدقة ما تسمع. ان أي انسان يرى سلوك كونون هذا لا بد ان يظن ان لديه السيطرة الكاملة عليها. رفعت وجهها اليه، ولكن بدل ان تنطق بكلمات الرفض التي قفزت الى لسانها، وجدت نفسها وبطريقة ما، تقبل دعوته وتحدق فيه بنظرات مليئة بالتعجب وكلمات القبول تخرج من بين شفتيها.

ارتدت ألانا ثوباً أبيض مزركشاً بشريط لامع، وأزرار صغيرة ارجوانية. لم تزين وجهها بأكثر من قليل من حمرة الشفاه.

خرجا معاً وكان الوقت مساء، والقمر يتهادى في الفضاء، والنسيم لطيف عليل وشعر ألانا البراق ينساب برقة على كتفيها، ناعماً كالحرير. اخذ كونون بجماله، ولم يتردد، فتناول برفق خصلة منه ثم ضمها بقوة الى وجهه، وقال:

ـ ألانا، انا احبك.

قال ذلك بصوت نابض بالحيوية، وقربها منه وهو يردد:

ـ ألانا، اني احبك. فأنا استعيد القليل الذي اعرفه من الانكليزية، لأقول لك اني احبك. هل تتزوجينني؟

ـ ألانا! بحق السماء، أين انت؟

قال ماكس صائحاً وهو يقف قربها على ظهر المركب. فأعادها صوته من شرودها العميق في ذكرياتها عن البداية.

ـ لقد دق جرس الغداء منذ مدة طويلة. وبقيت انتظرك في غرفة الطعام.

نظر اليها بشيء من الاستغراب وتابع:

ـ ما بك؟ هل كنت تحلمين؟

- اني آسفة جداً، ماكس.
فضحك ضحكة عالية بعد الاعتذار المختصر، ولكنها تابعت:
- حقاً، لقد ذهبت بأفكاري أميالاً بعيدة كما قلت.
ثم وقفت، ووضعت الكتاب تحت ذراعيها، متجنبة التعابير الغريبة التي بدت على وجه رفيقها.
- تفكرين بكونون؟
تمتم ماكس بهذه الكلمات وهو ينظر اليها، ومما اقلقها انها احست بالدم يصعد الى وجهها يوشيه بحمرة خفيفة.
- أنا... أنا...
- اذن كنت تفكرين فيه. أليس كذلك؟ حسناً، فقد كنت اتوقع ذلك. وانه لمن الممتع حقاً ان ارى ما سيحدث عندما تلتقيان ثانية.
- لا شك انه تزوج اثناء هذه المدة.
تحركت ألانا، وسار ماكس الى جانبها ينزلان الدرج، ويقودها الى حجرتها. ومرة اخرى اعتذرت لتأخرها، ووعدت ان تصرف اقصر وقت ممكن في غسل وجهها وتسريح شعرها، وقالت:
- ارجوك ان تبدأ بتناول طعامك، حتى لا يبرد.
- لم اطلبه بعد.
واستمر ينظر اليها نظرات غريبة، فاصطنعت ابتسامة، وقالت:
- لا تقلق علي، ماكس. لن اشعر بأي ارتباك عندما التقي بكونون...
كانت متأكدة مما تقول، ولكنها ارادت ان تؤكده لماكس. فهي لا تشعر بأية عاطفة نحو كونون. فقد مضت مدة طويلة على ذاك اللقاء البعيد الذي لم تسمح فيه لنفسها ان تتخلى عن قرارها، ان تبقى عزباء. حقاً انها لا تشعر بأية عاطفة، حينما تفكر بلقاء الرجل الذي كان غضبه مخيفاً عندما رفضت طلبه.
بعد لحظات تكلم ماكس:
- ان قلقي ليس عليك ألانا، انه على نفسي.
- على نفسك؟
سألت وقد علا العبوس جبينها، ثم اضافت:
- ماذا تعني؟

تخيل ماكس شيئا من غبار على كمه النظيف، فنفضه وقال:
ـ بدأت احس انه ما كان علي ان اصطحبك معي في هذه المرة...
فقاطعته وقد زاد عبوس وجهها:
ـ ماكس... ما الذي تحاول ان تقوله؟
اجاب وفي صوته رنة ألم:
ـ من الممكن ان اخسرك، ومن الممكن ايضاً ان يكون قد تزوج، لكن...
صمت قليلاً وهو ينظر اليها ثم تابع:
ـ اراهن بكل ما عندي، انه ليس متزوجاً.
اتسعت عينا ألانا، وقالت:
ـ اتريد ان تؤكد انه وحيداً، بسببي؟ الحقيقة انك تقول اشياء مضحكة.
اجاب ببطء ولكن بجرأة:
ـ انا متأكد لو انه صبر قليلاً لنجح في اقناعك بالزواج منه.
ـ انه لا يستطيع ان يفعل لاقناعي اكثر مما فعلت انت. ويبدو انك لا زلت تشك باجابتي القطعية الحازمة، انني لن اتزوج من اي انسان.
ـ انت كثيرة الثقة بنفسك، ألانا. متأكدة من السلاح الذي يحميك. ولكني متأكد، كما سبق وقلت لك، انك في يوم من الأيام سوف تلتقين بمن يلائمك وتتزوجين منه...
انقطع عن الكلام فجأة، وسار في طريقه وهو يتمتم بأنه سينتظرها في المطعم.
وقفت جامدة في مكانها، تنظر الى ظهر ماكس وهو ينطلق. وتساءلت في نفسها، ترى ما الذي كان يريد قوله ومن الذي يعنيه؟
لقد عرفت ألانا الجواب، حتى قبل ان تدخل غرفتها. لا شك انه كان يريد ان يقول ان كونون هو نصيبها...
اخذت جزيرة كاليمنوس تظهر شيئاً فشيئاً للعيان، خلال ضباب البحر الكثيف. وقفت ألانا وحيدة قرب الحاجز، تتطلع الى ذاك المشهد الذي يبعث على الكآبة. لم تر مثله في حياتها من قبل.
جزيرة صغيرة ملقاة وسط بحر غارق في الضباب، يرتفع اكواماً اكواماً،

كتلك التي يتخيلها المرء فوق سطح القمر. وبصعوبة كبيرة استطاعت ألانا ان تميز الساحل المتعرج، فقد رأته سلسلة من الظلال، وقد توشح الفراغ بالسواد حتى بدا غامضاً للعيان، اكثر غموضاً من المكان الذي كانت تطل منه.

لماذا؟ سألت ألانا نفسها، لماذا يختار كونون ان يعيش على جزيرة مثل هذه خالية من الجمال، بينما يمكنه ان ينتقي اياً من اكثر من مائة جزيرة يونانية غير مأهولة؟

- انه منظر يدعو الى الكآبة، اليس كذلك؟

كان صوت ماكس الى جانبها، فاستدارت نحوه، واحنت رأسها موافقة على كلامه، وقالت:

- اني لأعجب لماذا اختار كونون هذه الجزيرة لسكناه، يا ترى؟

هز ماكس كتفيه، وهو يقول:

- لكل امرىء اختياره. لا شك انه يجد في هذا المكان ما يجعله يحبذ العيش فيه. فمن جهتي انا قد اعيش قريباً في صحراء!

منحته ألانا ابتسامة، ولم تعلق بشيء.

اطلقت الباخرة صفارتها تنذر بوصولها الى المرفأ. ومن خلال الضباب استطاعت الانا ان ترى اناساً يقفون الى جانب الرصيف. وتساءلت، ترى من يكون هؤلاء الناس؟ اتراهم ينتظرون ليقلعوا على الباخرة؟ ام اصدقاء واقرباء جاؤوا ليستقبلوا القادمين؟ ولكن كونون ليس بينهم، وهي تعرف ذلك، فقد اخبرها ماكس من قبل ان الترتيبات قد اعدت لتكون المناقشة في منزله.

كانت تفضل ان يكون اللقاء بينهما في قاعة في فندق مثلاً، ولكن ما دام الأمر ليس كما تريد فعليها ان تذعن للواقع.

استأجر ماكس سيارة في الحال سارت بهما على طول الطريق المحاذي للميناء قبل ان تبدأ بالصعود الى التلال.

كان السائق يقود بشكل جنوني، وسط شوارع ضيقة، حيث المنازل جميلة مزدانة بالأزهار، وألانا تنظر الى ما ترى باستغراب.

- حسناً، الشمس بدأت اولى محاولاتها للظهور على الأفق.

ألقى ماكس ملاحظته تلك وهو ينظر الى بيت ابيض يتربع على سفح

التل الذي كانوا يتوجهون نحوه.
ثم تابع حديثه:
- حبذا لو ان السائق يخفف من سرعته حتى استمتع بهذه الرحلة.
فقالت ألانا وما زالت علامات الدهشة بادية على وجهها:
- وانا ايضاً، يبدو انها جزيرة جميلة، اخيراً...
في تلك اللحظة، في اللحظة التي تكلمت فيها ألانا، اشرقت اشعة الشمس على الجبال العالية. والغيوم اخذت تنقشع بسرعة عبر السماء، تاركة وراءها سلسلة من الألوان الزرقاء البراقة.
- جميل، رائع، أليس كذلك؟ فقط، ألقي نظرة هناك!
التفتت ألانا حيث اشار لتحدق بدهشة الى المشهد الذي امامها. لقد القت الشمس اشعتها برقة على سطح البحر الممتد، فوشحته بزرقة سماوية اخّاذة. ولانت قسوة الجبال، فبدت كأنها تنثني بلطف تحت الخيوط الذهبية التي تتسلل من الشمس فتزيل عنها آخر ما تبقّى من ضباب. وبينها وبين كل هذا، الحدائق التي تخلب اللب وتجتذب الأنظار موشاة بأروع الألوان.
تحدثت ألانا الى رفيقها وهي مأخوذة بما ترى ومن غير ان تلتفت اليه:
- اي تحول هو هذا، وفي غضون دقائق قليلة؟ ترى هل الطقس متقلب ايضاً كما الحال في المناظر؟
- انه اكثر دفئاً.
اخذت عينا ألانا تنتقلان من الجبال الى النهر الجاف الذي كان يرى من تلك البقعة، يشق طريقه نحو الخليج الذهبي العميق تزين شاطئيه اشجار الدفلى بأزهار بيضاء اللون وزهرية. ثم الى بساتين الليمون والبرتقال تنعكس عليها أشعة الشمس فتبدو وضّاءة نضرة، تكتنف تلك البيوت البيضاء من كل جانب.
والى اشجار الزيتون التي ولو عبث بها الزمان، وبدا لونها اقل توهجاً، الا انه بقي اخاذاً رغم مرور السنين، وبقيت اوراقها الرمادية الفضية تتراقص تحت ضياء السماء كلما داعبها النسيم.
سرعان ما تغير رأي ألانا في الجزيرة، وهي ترى الصور الرائعة تتوالى امامها.
واستمرت السيارة بالصعود، حتى غدت الجبال اقل كثافة، وبدت

الاشجار في اعاليها جرداء تماماً.

ثم اخذت السيارة في الهبوط. فأحسا بشيء من الارتياح. ومرة اخرى عادت الأرض تبدو ناعمة رقيقة ملونة بالورود على انواعها، تتوجها اشجار السرو الشامخة التي تشتهر بها بلاد اليونان.

وهناك في اسفل التلال عبر الطريق التي كانوا يمرون فيها كانت تستلقي مياه بحر ايجه، تتماوج بدلال، وتمتد نحو الأفق البعيد.

ـ ذاك هو البيت.

اخيراً نطق السائق، وهو يشير نحو فيللا كبيرة الحجم تبهر النظر، تقف بجلال على رابية سهلة نصبت فيها الأشجار وفي وسطها جدول ماء صغير عرّج عليها في طريقه قبل ان يصب في شلال صغير، تتلألأ مياهه تحت وهج الشمس، فيقف الرائي امامه مذهولاً، ثم يسكب ماءه في النهر.

اما الفيللا نفسها، فكانت كلما اقتربوا منها تبدو اكثر روعة وفخامة. لا شك انها فريدة في رونقها وجمالها، ولا يمكن ان يكون لها مثيل في انحاء الجزيرة كلها. زخرفت كما لم تزخرف اية فيللا اخرى، ولم تتمكن ألانا الا ان تعترف بأن المنزل كان تحفة رائعة.

وفي اتجاه البحر وعلى صخرة شاهقة كان يقوم قصر عظيم غني عن الوصف، اشار اليه السائق وقال:

ـ هناك يعيش الثري اليوناني مع زوجته الانكليزية.

وبالرغم من عظمة القصر وغرابة موقعه، وسحر المناظر التي تحيط به، بالرغم من سماعها ان فتاة انكليزية تسكن هناك فان اهتمام ألانا كان منصباً على فيللا كونون. تلك الفيللا التي كان يمكن ان تكون هي صاحبتها، وهي التي تعيش فيها، تتمتع بكل هذا السحر والجمال لو انها فقط قبلت ان تكون زوجة مالكها. وزوجته المحبوبة. وتذكرت، كم احبها كونون وكم كان حبه صادقاً وعميقاً.

كان ماكس يتفحصها بنظرة جانبية، فنحّت وجهها عنه لتخفي احمراره، متمنية لو ان الصفقة التي جاءا من اجلها الغيت من اصلها وكانت هي وماكس في طريق العودة الى بلدهما.

ـ هنا!

قاد السائق السيارة ببطء، ثم توقف وقفز يفتح الباب لألانا كي تنزل.

وعلق قائلاً:
- انه بيت جميل، أليس كذلك؟
ابتسمت ألانا وثنت على قوله:
- نعم انه جميل جداً.
- لقد كلّف السيد كونون مبالغ طائلة من المال. فهو رجل ثري جداً، وكذلك جميع ذويه.
كان ماكس يتلمس جيبه، واعطى السائق اجرته. ومرة اخرى ابتسمت ألانا عندما لاحظت عينيه تشعان سروراً.
قال السائق:
- شكراً سيدي! هذا هو رقم هاتفي...
اعطاه الرقم ثم تابع:
- سوف اعيدك الى المدينة عندما تطلب مني ذلك.
- نعم، ارى انك انت، وانت فقط الذي سيرجعنا الى المدينة.
فقال قبل ان يعود ثانية الى السيارة:
- يوماً سعيداً سيدي، سيدتي!
فخرج جوابهما معاً:
- الى اللقاء وشكراً.
وبعد ان ودعته ألانا بنظراتها ايضاً التفتت لتنظر الى الفيللا من قرب، بيضاء، برّاقة، تتعلقي وسط جنائن اخاذة الألوان والرائحة.
استطاعت ألانا ان ترى من خلال شجيرات مزهرة بركة سباحة فسيحة، ترتفع وراءها اشجار السرو العالية تتمايل بخفة كلما داعبها نسيم البحر العليل.
ومضت السيارة في طريقها تحدث صوتاً مزعجاً.
فتح باب الفيللا حتى قبل ان تصعد ألانا وماكس الدرجات الرخامية البيضاء التي تؤدي اليه، حيث كان منعطف يوصل الى فناء واسع مرصوف، فيه احواض ازهار تمتد على طول الواجهة الأمامية للفيللا. كما كانت ترتفع اعمدة عالية بيضاء على جانبي الدرجات، يلتف حولها نبات غريب المنظر، رائع الشكل بأزهار بنفسجية اللون.
لا شك ان الرجل الذي فتح الباب كان خادماً فابتسم لهما بلطف،

وقال بلغة انكليزية ممتازة:
- تفضلا بالدخول، فسيدي يتوقع قدومكما.
وبهدوء دعا ماكس للدخول قبل السكرتيرة. ولكن ماكس تنحى قليلاً، ولمس كتفيها يقدمها امامه. مما جعل الخادم يعتذر بلطف:
- اني آسف سيدتي. كان يجب علي ان ادعوك الى الدخول أولاً. عفواً! والآن سآخذكما الى سيدي.
كان المدخل عبارة عن قاعة واسعة، مؤثثة بأجمل الرياش وافخرها تدل على ذوق رفيع، وقيمة غالية. القطع الأثرية النادرة موضوعة في كل مكان مناسب من القاعة. وفي احدى الزوايا وعاء كبير فضي وضع على قاعدة واسعة فضية ايضاً يمتلىء بالورود الصفراء والحمراء.
وقف رجل عند دخولهما، وتقدم نحوهما. ألانا سمّرت مكانها وحدقت فيه، لا تكاد تصدق اذنيها، عندما قدم نفسه الى ماكس.
- كونون.
رددت ألانا في نفسها، كونون! لا، لا يمكن ان يكون. لا يمكن ان يكون كونون هذا الرجل الضخم الخشن، بهاتين العينين اللتين تشع منهما القسوة، والخطوط القاسية العميقة التي تبدو على وجهه.
هزت رأسها بألم، وكان عليها ان تصدق ان هذا هو نفس الرجل الذي عرفته من قبل. الرجل الرقيق اللطيف الجميل الجذّاب.
ابتلعت ألانا ريقها بصعوبة عندما استقرت على وجهها تلك العينان النافذتان القاتمتان. ومد كونون يده، وهي ناولته يدها. آلمتها قبضة يده، فأجفلت. واخذ ينعم النظر في عينيها الذابلتين.
بدت على شفتيه شبه ابتسامة ساخرة، فعرفت من دون شك ان تلك كانت علامة ليجعلها تحس بقسوته.
هزت ألانا كتفيها، وحاولت ان ترجع الى الوراء بعيداً عنه، ولكنه استبقى يدها بيده، وضغط عليها بشدة فيها معنى العنف والسيادة.
- هكذا التقينا ثانية، ألانا!
صوته قد تغير ايضاً، زال ما كان فيه من لطف، والقليل من المرح. وماتت النغمة الحنون التي اعلن لها بها عن حبه ذات يوم.
وبعد لحظة ساد فيها السكون، تابع كونون كلامه:

ـ لقد مضى زمن طويل.

تحركت عيناه الداكنتان. واخذ ينقل نظراته، من رأسها حتى قدميها بسخرية مهينة. صعد الدم الى وجهها، مدركة ان عيني رئيسها عالقتان بها. واستمر كونون يتفحصها بوقاحة، ثم قال:

ـ علينا ان نتحدث معاً، نتبادل الثقة على الأقل، أليس كذلك؟

كانت الطريقة التي تكلم بها، الاهانة بعينها. وعرفت على الفور انه مطّلع على زواجها. ويعرف ايضاً من تزوجت. وانها اختارت، وهذا ما كان يعتقده، اختارت رجلاً بديناً بغيضاً، وفضلته عليه هو.

ايقنت ألانا انه علم بذلك. وهذا هو سر معاملته القاسية البعيدة عن حدود اللياقة. ولكنها لا يمكن ان تظن ان هذا هو سبب التغيير الكامل في مظهره وسلوكه.

ضج رأسها بالأفكار المختلفة، واختلطت عليها الأمور. وتساءلت ترى هل حدث امر فظيع في حياته؟ امر بعث المرارة في صدره، فأصبح هكذا، كما رأته، قاسياً، لا رحمة في قلبه...

بدا اختلاف في سلوكه عندما التفت الى ماكس. ارستقراطياً في وقفته، مترفعاً في نظرته. تطلعت ألانا الى الرجلين، وأحست بالارتباك وهي ترى كونون، يتفحص ماكس وكأنه اقل منه شأناً، ولاحظت الهوة السحيقة بين كليهما.

وقف كالسيد اليوناني ينقل النظر بينهما باحتقار، وكأنه يترفع عن هذين المخلوقين اللذين جاءا ووقفا في حضرته المهيبة.

ومن اعجب العجائب انه عندما تكرم وتكلم، تكلم بلطف غير منتظر، وبدا تغير طفيف في ملامح وجهه. فقال:

ـ انا آسف لأني لم اتمكن من الذهاب الى اثينا لمناقشة هذه الصفقة.

سكت هنيهة وتابع بصوت ازداد رقة:

ـ ولكن والدتي كانت مريضة في المستشفى هنا، فلم اتمكن من تركها.

توقف قليلاً قبل ان يتمم كلامه، ثم قال:

ـ لقد توفيت منذ ايام ثلاثة، وكنت منهمكاً بالجنازة.

لم تلحظ ألانا في عينيه اثراً للحزن ولا في صوته معنى للعاطفة، ولا في تعابير وجهه شيئاً من التأثر. فعجبت، ولكنها اسرعت تقول:

ـ اني آسفة جداً، كونون. . .

ثم توقفت من غير ان تكمل. فيده ارتفعت توقفها عن الكلام. . .
وتكلم كونون:

ـ لا بأس، فقد كانت آلامها لا تطاق.

استعادت ألانا في ذاكرتها ما قاله لها ذات يوم، ان من تشتد آلامه ويتعذر شفاؤه، يجب ان يترك له خيار الموت. ولصغر سنها في ذاك الوقت لم تناقش رأيه مطلقاً.

وعلى الرغم من القناع القاسي الذي كان يتقنع به، كانت تدرك انه حزين من اجل امه، شديد التأثر لما اصابها. وتأكدت من ذلك، عندما سمعته يقول لماكس:

ـ لقد كانت تعاني آلاماً لا تحتمل. ولذا تقبلت موتها بصبر. ليس مهماً ما اقاسي من الم لفقدها. ولكن المهم ان الموت جاء راحة ورحمة لأمي.

يتألم. . . رددت ألانا تلك الكلمة في نفسها. واستمرت في النظر اليه، وآلياً هزت رأسها، وهي تلاحظ خطوط القسوة عميقة في وجهه وعينيه الباردتين الجامدتين، خاليتين من كل عاطفة. وتساءلت: اهكذا يتألم؟

كان كونون يلوي شفته، اذا قال شيئاً لا يعجبه، يلوي شفته بسخرية. ايماءة الترفع علامة تميزه، انه الاحتقار. تمنت ألانا ان تجد صفات اخرى تنعته بها.

جلست على الأريكة واتكأت الى الخلف، واخذت تنعم النظر فيه، تفكر في التمثال الحجري البارد الذي تراه. تمثال من زمن اليونانيين القدامى، وجهه خال من العواطف. والخطوط المنحوتة فيه تدل على القسوة والخشونة.

جلس كونون وماكس ايضاً. اما الخادم فقد كان يحوم عند الباب، لما سمع سيده يصفق، اسرع ليستجيب. ولكنه بقي واقفاً عند الباب. ومن الواضح انه كان يخشى ان يقطع على سيده النقاش. تركه كونون حيث هو يقف وينتظر. واستمر يتابع حديثه مع ماكس.

شعرت ألانا بالنار تتقد في جوانبها، فارتفعت حرارتها. ولم يمكنها ان تمنع ذلك. انها تعلم ان المسألة لا تخصها. ولكن معاملة كونون للرجل بهذا الأسلوب، هو الذي جعل الدم يغلي في عروقها، وتساءلت: بأي حق

يتصرف على هذا المنوال؟ ولكنها احتفظت بالسؤال في نفسها. ولم تكن تملك غير الصمت.

واخيراً، وبعد طول انتظار، شمل الرجل بنظرة، وامره بقسوة قائلاً:

ـ اخبر كاتينا بأن يأتي الى هنا.

ـ حاضر، سيد كونون، انا...

ـ وليكن الغداء جاهزاً في الواحدة.

ـ حاضر، سيد كونون.

كان الرجل يهم بمغادرة الغرفة عندما تكلم كونون ثانية:

ـ ولتكن الغرف جاهزة.

ـ حاضر، سيد كونون.

كتمت الانا غضبها في صدرها، فجملة - حاضر، سيد كونون - اثارت اشمئزازها، فوق جميع الأسباب الأخرى.

على اية حال فقد حولت الانا نظرها نحو ماكس تستوضحه بسكينة. فهز كتفيه وفتح يديه باذعان. اضطرت الانا ان تسأل:

ـ هل سنبقى هنا؟ كنت احسب اننا سنعود الى المدينة للاقامة في الفندق.

التفت اليوناني اليها بعينيه الداكنتين وقال لها بصوته الهادىء:

ـ ولكني افضل ان تكونا ضيوفي.

وجال بنظره في الغرفة، وعله بذلك كان يقصد ان يلفت نظرها الى فخامة المكان الذي يستضيفها فيه. وجالت الانا بنظرها معه، كان كل ما في الغرفة من اثاث يدل على الذوق الرفيع. الانا يعرف من قبل ان كونون قد زار عواصم أوروبية، حيث كان يجمع قطعاً نادرة تتناسب مع اثاث بيته. فالشمعدان الفضي الرائع العالي كان من صنع المانيا. اما السجاد فقد كان من السجاد العجمي. وهناك كثير من التماثيل الأثرية وتحف اخرى واخرى لا حصر لها.

وبعد لحظات تكلم كونون:

ـ كاتينا سيكون هنا على الفور ليقودكما الى غرفتيكما.

عيناه عادتا للنظر الى الانا. فاحست ان الاحمرار بدأ يسري بطيئاً في وجنتيها، وايقنت من ذلك بما بدا من رضى في عيني كونون الضيقتين

ضحية

والتواء شفتيه القرمزيتين. وشعرت بالألم يوجع قلبها. ولكنها مع ذلك توقعت انها ستعتاد على ذلك اثناء اقامتها في هذا البيت.

وتمنت الانا ان يتم البيع بسرعة، حتى تستطيع هي وماكس ان يلحقا بالمركب الذي سيقلع في الساعة الثانية من بعد ظهر اليوم التالي. فليلة واحدة تحت سقف بيت كونون، كانت اكثر من كافية واكثر مما تحتمل.

الغرفة التي خصصت لها كانت جميلة ومريحة للغاية. وأن اقل ما يمكن ان يقال فيها، انها كانت مفروشة بمنتهى الذوق، مزينة بأجمل الزخارف، امامها شرفة تطل على البحر.

كان اول ما فعلت انها خرجت الى الشرفة تتنشق الهواء الطلق بعد هذا اللقاء المقيت، والذي تمنت الف مرة لو انه لم يحصل على الاطلاق، لتبقى ذكرى كونون جميلة في مخيلتها.

وقفت هناك تتنفس بعمق، ثم اخذت تمتع النظر بمرأى مياه بحر ايجه الزبرجدية. الى الشمال كانت تقع جزيرة ليروس، بينما انتثرت جزر صغيرة هنا وهناك بعضها لا يزيد عن صخور ناتئة، تبدو على شكل حيوانات غريبة رفعت رؤوسها من اعماق البحر تنشد الهواء.

الى جهة اليمين كانت ترتفع الجبال عظيمة ممتدة، لكنها مجردة من الأشجار. بينما المنحدرات تموج وتزهو بأشجارها وشجيراتها واعداد لا تحصى من الأزهار الفاتنة. وهناك على الروابي تمتد الجنائن بجمالها الخلاب.

بساتين من الليمون والبرتقال تملأ مساحات واسعة تمتد على طول الجهة الجنوبية من الفيللا. بينما من الجهة الأخرى حديقة ورود تتوسطها بركة مزخرفة، يندفع منها الماء في نافورة. ما عدا العديد من التماثيل الرخامية، قائمة هنا وهناك. وترتفع وراء الحديقة اشجار السرو الشامخة تشكل حاجزاً في وجه هواء البحر.

اما وراء الفيللا، فهناك مرج فسيح، مخملي ناعم ازرق، يمتد بعيداً نحو حافة ضخمة من الصبّار، تكوّن حدوداً ثابتة للحدائق. وبعد ذلك تمتد البراري الوعرة، والقفار، الى الجهة الشمالية من الجزيرة، حيث القصر العظيم الرائع الذي سبق ورأته الانا واعجبت به، يقف حارساً على حافة صخرة شاهقة.

كل ما رأت كان خارقاً في جماله، الا كونون. فهو كالنغم الشاذ في اغنية عذبة حلوة. وتساءلت ألانا في نفسها: ترى ما الذي حدث له؟ ما هذا التغيير الغريب الذي لا يصدق؟ ما الذي حل بهذا الرجل الذي كان في غاية الظرف والكياسة، في غاية اللطف والرقة؟ كان مرحاً سعيداً، فما الذي اصابه؟ لم تستطع تعليل ما حدث، ولكنها احست بألم مفاجىء، واسف شديد لهذا التحول. وشعرت انه لا بد ناتج عن صدمة اليمة وتعاسة عميقة.

هزت كتفيها وقد نفد صبرها، من كثرة ما اعملت التفكير في شأن كونون. وذهبت الى الحمام العاجي لتغتسل، وايقنت انها لن تصل الى نتيجة مهما اعملت التفكير في حظ مضيفها التعس على مر السنين. وانه من الحكمة ان تطرد هذا الأمر كلياً من ذهنها..

وبعد ان خرجت من الحمام، سرحت شعرها الذهبي وتركته ينساب على كتفيها ناعماً لامعاً. وارتدت ثوباً قطنياً اخضر متموجاً وعادت الى غرفة الجلوس، تماماً في الوقت الذي كان ماكس يغادرها مع الخادم الذي يرافقه ليريه غرفته.

- اجلسي ألانا...

كان صوته ناعماً رقيقاً وهو يدعوها الى الجلوس، وتابع:

- فلدينا دقائق قليلة يمكننا التحدث فيها منفردين.

ومع كلماته كان الباب يغلق وراء ماكس.

واضاف كونون:

- لقد كبرت يا ألانا..

واخذ يتأملها وعيناه تنظران في عينيها، وهو يكمل حديثه بقوله:

- نعم كبرت... ولكن ليس كثيراً.

استدارت ألانا لتجلس، ولكن قبل ان تفعل، امسك كونون بمعصميها بيد ورفع ذقنها بالأخرى. فأجفلت وارتجفت فقد امسك بها بشدة.

- زواج!

لفظ تلك الكلمة ببطء وخشونة مخيفة. ثم سار بها نحو الأريكة وقال:

- اجلسي! قلت لك اجلسي.

اطاعت وهي ترتجف وعيناها عالقتان بالباب راجية ان يعود ماكس.

ولكن ماكس لم يعد.

واضاف كونون بلهجة الأمر:

- اخبريني عن زواجك.

وقف حيالها كالقاضي وامامه المتهم، وهو يتابع:

- هذا . . . هذا الحيوان الذي فضلته علي؟ قلت لك اخبريني عنه.

تعابير وجهه كانت تنبىء بالشر، عيناه تلتهبان في محجريهما، وعضلات وجهه تتلوى في خطوط عميقة. ذاك الوجه الذي وصفته ألانا في يوم من الأيام بأنه اجمل رجل رأته في حياتها، او من الممكن ان تراه. . .

هل يمكن ان يكون زواجها هو الذي اوصله الى هذه الحالة؟ هو الذي احدث فيه هذا التغيير الكامل في طبيعته ومظهره؟

ارتجفت ألانا ثانية، فهناك في صدرها لوعة عميقة وندم يجب ان يبقيا في سرها، حتى يأتي الوقت المناسب.

فردت عليه بطريقة ملتوية:

- زوجتك. . . أين هي الآن؟

- ماتت! قتلت مع خليلها. . .

خرجت من صدره آهة حرّى، وعيناه رشقتا ألانا بنظرات لا معنى للرحمة فيها، ثم اضاف:

- العدالة تمت! ولكن الأمر لا يهمني ابداً. فانا سألتك سؤالاً اريد عليه الجواب!

كان لكونون قوة سحرية عجيبة، جعلتها تتكلم:

- كان رجلاً غنياً، حيث. . . .

- انا مدرك تماماً انه كان ثرياً. وانت حسبت انه اكثر مني ثراء. فهل هذا هو سبب زواجك منه وبعد اسابيع قليلة فقط من رفضك الزواج مني؟ فقط بضعة اسابيع بعد ان اقسمت انك لن تتزوجي بآخر، اليس كذلك؟

- هناك اسباب مختلفة تماماً. . .

ابتدأت الحديث تريد ان تبرر موقفها ولكنه قاطعها:

- لقد اخفتك، اليس كذلك؟ ولذا تحاولين الكذب. . .

قاطعته بحزم:

- انا لست بحاجة الى الكذب.

ثار غضبها، وتساءلت: ترى بأي حق يسألها هذه الاسئلة؟ وتذكرت اسلوبه القديم المليء بمعاني التملك والذي سبق وخاطبها به. وتمر السنون عديدة، ويعود الى مخاطبتها بنفس الأسلوب...

ولكنها اجابت بثبات:

- زواجي يخصني وحدي. وأنك تغيظني بأسئلتك هذه التي لا شأن لك بها.

ضاقت عيناه الداكنتان وقال:

- ليس الاستياء ما تشعرين به وانما الخجل، على ما اظن.

صعد الدم الى وجنتيها وقالت:

- سيد كونون، هل تمانع في اقفال هذا الموضوع؟ جئت انا ورئيسي الى هنا في عمل. ومن الأفضل ان لا تنسى ذلك. والآن ارجو ان تسمح لي...

وتابعت وهي تقف وتبتعد عن ذاك الشخص المتسلط:

- احب ان اعود الى غرفتي ريثما يحين موعد العشاء.

خيم الصمت على المكان. تحركت ثانية، ولكن قوتها خانتها، ورفضت ساقاها ان تحملاها.

- تعالي الى هنا، الانا.

قال ذلك بلهجة آمرة، عندما كانت قد بلغت الباب، ووضعت يدها على المقبض لتفتحه.

كرر كونون امره:

- تعالي الي...

احست باللون يفر من خديها وكأن قلبها توقف عن الخفقان، وقالت تتعثر بالكلام:

- انا... انا اريد ان اذهب الى غرفتي...

توقفت عن المتابعة، عندما تقدم نحوها بحركة سريعة كالنمر، وأمسك بمعصمها، وقربها منه، وضمها اليه، وهو يقول:

- لقد امرتك ان تأتي الي...

كان وجهه قريباً من وجهها، فأحست بأنفاسه حارة على خدها. وتابع يقول:

ـ لقد كنت أريدك وانت بعيدة، اكثر من تلك الأيام التي كنت فيها قريبة مني.

كان صوته مضطرباً يحترق بلهيب الغيرة. وألانا لم تستطع ان تفلت من بين يديه. فهمس قائلاً:

ـ حسناً ألانا. أنت لي. أنا أريدك الآن اكثر من أي وقت مضى. ستكونين لي. هل تسمعين؟ سوف تكونين زوجتي.

٣ - المصيدة فتحت شدقيها، وألانا هي الفريسة مرة اخرى. يجب ان تكتشف السر الذي سرق النوم من عينيها حتى قبل ان تعرفه...

لم تكن ألانا تعرف كيف يمكنها ان تؤمن لنفسها جواً من الهدوء. ولكنها فعلت ذلك عندما عاد ماكس الى الغرفة بعد ما يقرب من عشرين دقيقة. كان يبدو اكثر جاذبية ببدلته الرصاصية الداكنة وقميصه الأبيض.

اخذ ماكس ينقل الطرف بين ألانا وكونون، من غير ان يطرأ اي تغيير على تعابير وجهه. ثم راح يتحدث الى كونون، وألانا تراقبه وهي تحس بقلبها يكاد ينفجر من شدة الخفقان بسبب تلك الطريقة الموجعة الوحشية التي امسكها بها كونون، حتى انها لم تستطع ان تحبس دموعها..

التفت اليها كونون وعلامات الفرح والانتصار بادية في عينيه، من الخوف الذي سببه لها والاضطراب الذي بدا عليها ولم تستطع اخفاءه.

قرع الخادم الباب، وفتحه بهدوء، وقال:

- العشاء جاهز يا سيد كونون.
- سنكون هناك على الفور.
- حاضر، سيد كونون.

انسحب الرجل، والتقت عينا ألانا بعيني كونون، فرأت نظرات الاحتقار فيهما. وتذكرت كيف كان يعامل الخدم فيما مضى، بتلك الطريقة المليئة بالمودة والابتسام. كيف انقلبت الى هذا الأسلوب من القسوة والاحتقار؟ لا تدري. لعل المرارة والوهم اللذين يعيش فيهما غيرا جميع طباعه، وجعلاه يفقد كل معاني الانسانية.

كان كونون وماكس يتحادثان اثناء الطعام وألانا تسرح بأفكارها الى الماضي البعيد. ولم تستطع ان تنكر ان كونون في ذاك الحين كان كالنجم المتألق، يحوم حولها اينما اتجهت. وان انصفت، كان مدعاة للفخر ان يكون زوجها حيث العيون تحدق بها من كل جانب. ومع ذلك فانه لم يكن لديها أي ميل للزواج مهما كان نوعه. كانت قد اتخذت قرارها بعدم الزواج ولن تلغيه لأي سبب من الأسباب. غير ان ماكس كان يؤكد لها دوماً، ان كونون لو عاد وكرر طلبه، لغيرت رأيها وقبلت به.

وان كان الأمر كذلك وهناك اية نتيجة من التكرار لأدرك كونون ذلك، ولحق بها الى انكلترا ليلح عليها بطلبه. وتساءلت ألانا: هل كان لدى كونون امل في ان تقبل به يوماً؟ اذن لماذا لم يتبعها؟ هل هناك من سبب منعه من ذلك؟ زواجها مثلاً؟ الحقيقة ان زواجها حدث بسرعة بعد عودتها. غير انه كان هناك الوقت الكافي ليلحق بها قبل ذلك...

مرت هذه الأمور في مخيلة ألانا. وعند هذه النقطة بالذات وقفت بعصبية متسائلة... هل حقاً كانت رغبتها ان يتبعها؟ كتمت انفاسها عند هذه الفكرة وقطبت جبينها. يجب ان تعرف ما في اعماقها، يجب ان تحدد طريقها وفي الحال.

رفع كونون حاجبيه مستفسراً. احمر وجهها، وغزا الألم قلبها، اكثر مما حصل حدث قبل وقت قصير بينها وبين كونون. خفضت عينيها ونظرت في صحن طعامها. وبصورة طبيعية، ضحك كونون ضحكة قصيرة، قبل ان يعود ليتابع حديثه مع ماكس.

حاولت ألانا ان تستمع الى ما يدور بينهما من حديث. فسمعت بعضاً منه

مثلاً، الأرض جيدة وتعطي عنباً من اجود الأصناف. وتساءلت لماذا اذن يريد كونون ان يبيعها؟ وبثمن رخيص؟

ثم سمعت ماكس يشير ان المبلغ الذي يعرضه عليه هو ثمن محصول العنب لعدة سنين. وانه يمكن ان يستثمر هذا المبلغ على الفور. مما جعل كونون يلوي شفتيه، ويقول:

- لعلك نسيت انني لست بحاجة الى مال لاستثمره.

- ولكنك قلت في رسالتك انك ترغب في البيع. والا لما وجدتني هنا. أليس كذلك؟

كان ماكس يتكلم، ولكن عيني كونون كانتا تنظران الى ألانا التي اتسعت حدقتاها لما تسمع. فابتسم ونظر بعيداً.

وتساءلت ألانا: هل من الممكن ان يكون كونون قد عرض الأرض على ماكس، ليحضره الى هنا من اجلها؟ وان كان كذلك، فلأي غاية؟

هناك في داخله شيء اعمق من ان يتصوره احد. كرهها له اخذ يتزايد. وكل ما كانت تبغيه هو ان تكون بعيدة عنه. لأنها تعرف ان قوته تدعو الى الخوف. احست ان هناك في داخلها شيئاً يحذرها من المستقبل. وان لم تستمع لهذا التحذير فانها ستقضي بقية حياتها في لوعة وندم.

نظر كونون الى ماكس نظرة الواثق من نفسه، وقال:

- انا اعلم ان طبيعة عملك تضطرك الى السفر في كثير من الأحيان، وقد تكون الرحلة عديمة الجدوى احياناً!

حاول ماكس ان يخفي امتعاضه وقال:

- ارجو الا تكون هذه الرحلة بالذات عديمة الجدوى.

ابتسم اليوناني ابتسامة شاحبة وقال:

- لك، ام لي؟

نظرت ألانا اليه بحدة، كانت اهدابه الطويلة تظلل عينيه، فلم تستطع ان تقرأ ما فيهما من معنى.

اجاب ماكس:

- ربما تكون مربحة لكلينا. فأنا انوي ان اشتري كل شبر ارض يمكنك ان تبيعني اياه.

قال كونون وهو يبتسم:

- لا اظنك تريد ان تشتري نصف الجبل مثلاً، جبلاً اجرد مثل هذا؟

رفع ماكس حاجبيه وقال:

- طبعاً لا يا سيد كونون، انا لست راغباً بشراء الجبال.

- اذن ما قولك بالأرض التي تريد انت او عميلك، ان تبني عليها فنادق؟

- فنادق او فيللات كما تسمونها في اليونان.

- لا شك ان بلادنا مليئة بالسواح. وستستفيد عندئذ من ذلك.

لم تعد ألانا تسمع من مناقشتهما شيئاً فقد شردت افكارها ومرة اخرى ذهبت الى الماضي البعيد. تفكر في كونون بلطفه، رقته، كرمه وحبه... ولكنه اصبح الآن الرجل الذي قاده قدره الى سوء السبيل. وصار ضحية لاخطائه. تزوج زواجاً فاشلاً. زواجاً ترك جروحاً عميقة اليمة في نفسه، جروحاً لا تلتئم.

فهو يلومها. ولماذا يفعل؟ ألأن خطاه...

كان صوت ماكس عالياً قطع عليها افكارها واعادها من تأملاتها. وسمعته يقول:

- آمل ان تعقد ولو صفقة واحدة على الأقل، سيد كونون.

- هناك احتمال كبير يا سيد ماكس.

فجأة غدا كونون المضيف اللبق وهو يتابع:

- سوف نكمل حديثنا هذا المساء... بينما تأخذ السيدة قسطاً من الراحة.

احمر وجه ألانا ولكنها لم تقل شيئاً.

اجاب ماكس بجفاء:

- ان سكرتيرتي تبقى عادة معي، عندما اقوم بأي عمل. وانا افضل هذا، اذا لم يكن لديك مانع.

لمعت عينا كونون ونظر نظرة غريبة نحو ماكس وأجاب:

- وانا افضل ان يكون حديثنا للرجال فقط، اعني ان العمل الذي اريد ان ابحثه معك يخصك وحدك.

ثم توقف عن الكلام، واخذ ينظر الى ألانا. جف ريقها، وشحب لونها، وأحست ان شهيتها للطعام قد زالت. ولكنها لم ترغب ان يلحظ

مضيفها ذلك. فرفعت الشوكة الى فمها.

ـ سوف تأوين الى فراشك بعد العشاء.

كان امراً القي من قبل كونون ولكن بطريقة لطيفة. ولم تجرؤ ألانا ان تعصي. على اية حال فانه من المفرح والمريح ان تبتعد عنه. فهو يريد ان يهزمها، ان يسيطر عليها، ان يتركها لا حول لها ولا قوة.

خرجوا الى الفناء الواسع. جلسوا حول الطاولة ليشربوا القهوة. كانت الأزهار جميلة في احواضها، اخاذة بأشكالها وألوانها. رائحتها تشرح الصدر وتنعش الفؤاد. ولكن ألانا لم تلتفت لكل هذا، وكان همها ان تسرع في شرب قهوتها، متلهفة للذهاب.

مما لا ريب فيه ان ماكس كان حانقاً، مغتاظاً بينه وبين نفسه. ولكنه لا يملك الا الاذعان لما يمليه كونون. فقد جاء لغرض معين وليس من صالحه ان يعادي الرجل الذي يأمل ان تتم معه الصفقة. ولذا، فانه لم يعترض، عندما وقفت ألانا، وقالت تصبحان على خير. ثم تركته وحيداً مع كونون.

بعد ان امضت ألانا ما يقرب من الساعة وهي تمشي في غرفتها جيئة وذهاباً، عزمت على الخروج والسير في الهواء الطلق، عله يصلح من حالها، او على الأقل يبعد عنها القلق الذي يساورها، ويساعدها على النوم.

وعلى الفور خرجت، وسارت في الممر الذي يؤدي من الفيللا الى حديقة الورود، تستنشق عبيرها الذكي، وتمتع ناظريها بجمالها الساحر.

كانت هذه الجزيرة حقاً قطعة من الجنة. نظرت ألانا نحو الجبال العالية، رأتها وقد سلب جو المساء اللطيف خشونتها، تبدو ناعمة، قبالة صفحة السماء المتألقة بنجومها الوضاءة.

اضواء تطل بفضول من هنا وهناك، تنبىء بوجود منازل تسترخي بارتياح على سفوح الجبال.

اشجار الزيتون قديمة، قديمة، ولكنها لا زالت تزدهي بأوارقها الفضية اللامعة وكأنها في عناق دائم مع شعاع القمر الذي اختلس طريقه اليها، خلال اشجار السرو العالية.

جلست ألانا على حائط منخفض، حيث احست بغتة بالسلام ولأول مرة منذ مجيئها الى هذا البيت الفخم الرائع. يملكه الرجل الذي كان يمكن ان يكون زوجها في يوم من الأيام، رجل تبدل كثيراً وكثيراً جداً، حتى انها

لم تستطع ان تميزه للوهلة الأولى. . .

اجفلت، وسمعت دقات قلبها الذي علا وجيبه. فالتفتت لترى خيال انسان آت نحوها من جهة المنزل. انه كونون!

هبت من غير ثبات، تريد ان تهرب من الخيال الذي رأت، لو استطاعت، ولكن قدميها سمرتا في مكانهما، ثم بدل ان تمضي عادت الى حيث كانت تجلس، فسار كونون نحوها، طويل القامة، يرتدي بدلة سوداء.

- هكذا لدينا بضع دقائق اخرى نقضيها منفردين.

صوته كان منخفضاً، واحست بيده باردة كتلك التي في القبور، عندما تناول يدها.

جاهدت ألانا لتتحرر من يده، ولكنها تعثرت فأمسك بها، الرجل الذي بدأت تكرهه.

- دعني اذهب! اين ماكس؟ سوف املأ الدنيا صراخاً، اذا لم تتركني حالاً.

هز رأسه، وكأنها تطلب المستحيل، وقال:

- ادعك تذهبين! لقد تركتك مرة، ألانا، ولكن لن يتكرر ذلك مرة اخرى. انت الآن اسيرتي، وستبقين كذلك حتى يفرّق الموت بيننا.

وضمها اليه يعانقها.

- انت مجنون، مجنون، هل تسمعني؟

ولكنه لم يأبه لكلامها. فعادت تقول وهي تحاول الافلات من بين يديه:

- مجنون. . . هي ايضاً قالت لك ذلك. . .

ذهبت هذه الكلمات بكل شوقه ورغبته، وصاح فيها:

- هي ؟ من هي؟

- زوجتك.

ارتفعت يده كأنه يريد ان يصفعها، يسكتها عن الكلام، ولكنه تمالك نفسه وانزل يده الى جانبه، وقال بصوت خشن:

- انا لم اتخذ زوجة ابداً! انت التي كان يجب ان تكوني زوجتي. وسوف تكونين! لقد كانت زوجة الوهم، وليست لي!

قالت باضطراب:

ـ انا . . . آسفة، كونون. . .

ضحك بخشونة وقال:

ـ أمن اجلي؟ شفقتك لم يعد لها نفع الآن. لقد استغنيت عنها! دعي الشفقة لنفسك، فسوف تحتاجين اليها عما قريب.

احست ألانا بالخوف، وارتجف جسمها، ولكنها قالت بلطف:

ـ كونون دعني اذهب. انا لا الومك على اي شيء فعلته مع زوجتك.

ولكنه بدل ان يتركها، سأل بخشونة:

ـ لماذا تزوجت؟

ـ لقد اخبرتك، انني كنت مرغمة. . . ولم ارغب في الزواج مطلقاً. . .

ـ لكنك تزوجت، تزوجت وتقريباً مباشرة. . .

قاطعته ألانا قائلة:

ـ ليس مباشرة. وعلى اية حال كان هناك سبب هام لزواجي. . .

ـ طبعاً سبب هام! لقد بعت نفسك للأكثر ثراء.

رشقها بنظرات حادة متفحصاً وتابع:

ـ كيف عملت مع هذا الرجل ماكس نيولاند، انا لا استطيع ان افهم. ايمكن ان يكون كل تخطيطك قد انتهى الى العدم، فلم يترك لك زوجك شيئاً في وصيته؟

ـ هذا من شأني وحدي.

كان قلبها يخفق الماً، ولكنها حاولت ان تبدو هادئة باردة، لعله يطلق سراحها. ومن الغريب ان ألانا كانت تخلق له المعاذير لكل ما يفعل ويقول، بينما تعلم منطقياً ان لا عذر له.

قال كونون وفي صوته شيء من السخرية:

ـ لم يترك لك شيئاً، والا لما كنت هنا الآن.

كانت تريد ان تنتزع نفسها من يده وتسرع راكضة نحو المنزل، ولكنها قاومت هذه الرغبة، مخافة ان حركة مثل هذه قد تثير غضبه من جديد. فتذرعت بالصبر وقالت بلطف:

ـ كونون، انني متعبة جداً. ارجوك دعني اذهب.

بقي واقفاً من غير حركة، ينظر اليها نظرات شاملة، ثم قال بلهجة الواثق مما يقول:

- ستكونين زوجتي ولا مفر لك من ذلك. وسيتم هذا في غضون اسبوع.

قالت بحدة:

- انك تتكلم قبل ان تفكر. انت تعلم انه لا يمكنك ان تجبرني على ذلك. ومما لا ريب فيه انني لن اتزوج منك بارادتي.

وقف امامها مطبقاً فمه بحزم. كان كرجل يحمل سلاحاً سرياً، سلاحاً يوجهه الى اعزل ليس له حماية.

- سوف نرى، يا ألانا الحلوة، نعم، سوف نرى.

كان صوته مليئاً بالثقة، وتعابير وجهه تدل على النصر الأكيد. ولكنها كانت ترى غير رأيه، وتحسب ان كلماته كلمات رجل لا يعرف ما يقول. اما انه غير صحيح العقل فهذا ليس حقاً، ولو انها نعتته بالجنون. ولكن يبدو ان الحقيقة هي ان كونون لا يزال يريدها زوجة له. هذا ما تراه واضحاً ولذا فهي آسفة لأجله.

- اين ماكس؟

سألته اخيراً، وتابعت:

- هل ذهب الى الفراش؟

احنى كونون رأسه:

- نعم، لقد ذهب حالما انتهينا من عملنا.

كان كونون ينظر امامه، ونسمات من البحر تداعب شعره الأسود. الأشجار تنشر ظلالها في ضوء القمر، وكلما لامست هذه الظلال وجه كونون، كانت ألانا ترتعد. كانت ترى فيه معالم شيء شرير، شيء يحثها على الهروب، الهروب بسرعة وفي تلك اللحظة، قبل ان يجرها الى الأسفل.

ولكنها قالت تتابع الحديث:

- لقد ذهب مبكراً.

- قال انه متعب.

- هل اعطى سبباً لتعبه؟

تعجبت ألانا من سماعها انه متعب. فهي تعرف ماكس، وتعرف جيداً انه شديد القدرة على العمل والتحمل، لا يكل ولا يمل، كثير النشاط

والمهارة. خاصة عندما يكونان على سفر. فهو لا يتوقف عن العمل مطلقاً، حتى يستطيعا العودة بأسرع ما يمكن.

وبعد برهة من الصمت اضافت وهي مقطبة الجبين:

- مثله لا يتعب.

نظر اليها ومن غير تحذير رفع يده الى جبينها ليزيل التعبير الذي بدا عليه، وقال:

- لا تفعلي ذلك، فالجبين المقطب لا يناسبك.

ابتعدت عنه، فلم يحاول ان يوقفها. ولكنه بقي واقفاً بينها وبين الممر الذي يجب ان تسلكه اذا عادت الى المنزل.

- ارجوك، لا تلمسني.

ولكنه مرة اخرى اقترب منها وحاول ان يعانقها عنوة وهي تجاهد للتخلص منه. فقال:

- الأفضل ان تعوّدي نفسك على لمسات يدي، لأنك ستشعرين بها حتى اخر يوم في حياتك.

- انت انسان قلبك مليء بالحقد والكراهية! كم انا سعيدة لأنني كنت حكيمة بما يكفي، حتى اني لم اتزوجك. ما هذه التصرفات المشينة التي تصدر عنك؟ هل تظن ان بامكانك ان تجبرني على الزواج منك؟

- انا لا القي الكلام عبثاً.

قال ذلك بسرعة، ووقف امامها بارداً، جامداً، قاسياً، كتمثال عظيم من الرخام. وقف بعيداً عنها ولكن بقيت عيناه تنطقان بروح السيادة المطلقة.

شعرت حياله انها صغيرة تافهة. واعتراها خوف شل تفكيرها، ولكنها استجمعت قواها، وقالت:

- ولكنك فعلت هذه الليلة. لقد قلت الكلام عبثاً...

قاطعها بلطف:

- لا يا عزيزتي ألانا. سوف تعرفين قريباً جداً انني اعني كل كلمة قلتها.

تضاعف خوفها، وكأن سهماً اصابها. التفت اليها حيث استطاعت ان ترى وجهه جيداً في ضوء القمر. كان صارماً قوياً مليئاً بالثقة، حتى انها لم تعد تستطيع ان تقنع نفسها بالنجاة. فأحست وكأن الدماء تقف في عروقها

وقاربت على الاغماء، فأمسكت بشيء قريب منها حتى تقي نفسها من السقوط، وقالت:

- اريد ان اذهب.

كانت عيناها الجميلتان تتوسلان بالرغم من انها كانت تعرف ان عليها ان تبدي شيئاً من الكبرياء والغضب من الطريقة التي عوملت بها... ولكنها تابعت:

- اني متعبة.

ولدهشتها وجدته يتنحى عن طريقها مشيراً بيده يدعوها للمرور.

- رئيسك سيتحدث اليك في الصباح.

كانت في صوته نغمة لم تلفت نظرها فحسب، بل زادت في ضربات قلبها. ترى ما الذي حل بها حتى تخاف هذا الرجل الى هذا الحد؟ ولكنها سألت:

- سيحدثني عن اي شيء؟

سألت وهي تحاول السير فتعثرت بحجر وكادت تسقط. ومرة ثانية كانت قبالته، واقترب منها. كان بارداً نظيفاً هذه المرة، كنسمة الهواء الناعمة التي تمر بالأرض البكر غير المزروعة. شعور غريب الم بها. وانثنت كمثل بنفسجة خجلة على سفح جبل، وبخفة ابتعدت عنه.

واجابة على سؤالها قال كونون:

- سوف تعرفين كل شيء عندما يتحدث اليك.

ولكن ألانا توقفت واخذت تستوضح منه ببعض الاسئلة. فأضاف:

- لقد قلت انك متعبة...

ومرة اخرى قاطعته قائلة:

- ولكن ليس الى حد يمنعني ان اعرف الأمر الذي سيحدثني به ماكس.

فقال بهدوء:

- لقد اسأت فهمي. فأنا اقصد انني لو اخبرتك به الآن، لطار النوم من عينيك.

سألت ألانا صائحة:

- لا استطيع النوم! ماذا تعني؟

اخذ كونون يهز كتفيه بلا مبالاة وهو يقول:

- انت تعرفين منذ وقت طويل انني منيع امام مكر النساء. ولن اقول الآن شيئاً. سوف تعرفين كل ما يجب ان تعرفيه، عندما يتحدث اليك ماكس في الصباح.

ولما وصلا الى الفيللا، قال:

- ادخلي انت الآن. فأنا اريد ان امشي قليلاً.

ومن دون اية كلمة اخرى، استدار ومشى ثم غاب مسرعاً بين ظلال البستان.

لم تستطع ألانا ان تتحرك. بقيت تنظر خلفه حتى اختفى كلياً عن ناظريها. اختلطت عليها الأمور واحتشدت عشرات الاسئلة في رأسها. فمثلاً لماذا في هذه اللحظة بالذات كانت تبحث في قرارة نفسها عما اذا كان كونون سينتصر عليها؟

شردت افكارها في الماضي البعيد. الصراع العنيف الذي اعتمل في نفسها قبل ان توافق على زواجها من هوارد بيومونت، ترى هل هذا هو السبب الذي جعلها تتساءل ان كان من الممكن ان ينتصر كونون عليها ايضاً؟

وتساءلت ألانا، ترى على اي اساس يؤكد كونون انها ستصبح زوجته؟ ثم هزت كتفيها من غير ان تصل الى نتيجة وصعدت الدرج مسرعة، وهي تقول في نفسها انها لا يمكن بأي شكل من الأشكال ان تكون زوجة لرجل مثل هذا، رجل اقل ما يمكن ان يقال فيه انه ليس بأفضل من وحش...

دخلت غرفتها واخذت تذرعها جيئة وذهاباً. لم تستطع ان تذهب الى فراشها. يجب ان تعرف الأمر من ماكس، هذا الأمر الذي سيسرق النوم من عينيها طيلة الليل ان عرفته، وقد سرق النوم من عينيها حتى قبل ان تعرفه...

عندما وصلت الى باب غرفة ماكس، تريثت قليلاً قبل ان تقرع وتناديه برقة وعذوبة. فتح الباب مباشرة وهو لا يزال بكامل ملابسه. اذن ماكس ايضاً لا يزال يقظاً. علت الدهشة وجهها وخرج من بين شفتيها صوت يدل على عدم تصديقها لما ترى. نظرت اليه فلاحظت وجهه الشاحب. لاحظت انه يبدو اكبر سناً وانه غارق في اعماق اليأس. قالت صائحة:

- ما بك؟ ماكس، ما الذي حدث؟

تردد قليلاً. ولكنها كانت تعلم انه يريد ان يوضح لها الأمر، واخيراً تكلم:

- ذاك اللعين، ذاك الهمجي الذي احضرنا الى هنا بحجة مهمة كاذبة. . .

قطع كلامه، وابتلع ريقه بصعوبة واخذ يهز رأسه ذات اليمين وذات الشمال. فسألت باستغراب:

- مهمة كاذبة.

تحركت ببطء نحو رئيسها الذي رفع يديه بايماءة تدل على اليأس وانه لم يعد باليد حيلة. ثم تركهما تضربان جانبيه باستسلام.

تابعت ألانا استفسارها:

- هل تعني انه احتال علينا للمجيء الى هنا؟

كان صوتها مليئاً بالدهشة والاستغراب. نظر اليها ماكس مستوضحاً. وقبل ان يسأل، اضافت:

- لا شك ان لديه اموراً خفية.

- اكنت تتحدثين اليه؟

احنت رأسها، وقالت:

- انه غريب جداً. . .

توقفت عن الكلام قليلاً، واصطبغ لونها بالحمرة عندما تذكرت تصرفه معها، ثم تابعت:

- قال انني سأكون زوجته في القريب العاجل.

نظرت ألانا في وجه ماكس، لترى تأثير هذه الكلمات عليه. فلم تر سوى قناع لم تستطع ان تفهم ما وراءه. ثم لمحت بعض التغير فيه، لم تفهم سببه ايضاً مما زاد في تلهفها لمعرفة ما قاله له، واضافت:

- ماكس، قل لي، ماذا قال لك؟ فهو لا شك كان يضمر شيئاً عندما اخبرني بانك ستتحدث الي في الصباح. فلم استطع الانتظار، ولذا تجدني هنا الآن. احس ان ثقته ترتكز على اساس قوي. مع ان عقلي يحدثني انه لا يمكن ان يتزوجني من غير موافقتي. وهذه لن يحصل عليها بالطبع.

فسألها بقلق:

- ألانا، هل انت متأكدة الى هذا الحد؟ الن توافقي على الزواج منه ولا

تحت اي ظرف من الظروف؟

تراجعت الى الوراء امام اسئلته، وسألته بدورها بحدة:

- ما هذا الذي تقوله؟ لا يوجد هناك اية ظروف يمكن ان تجبرني على الزواج منه. . .

- ولكنك فعلت مرة. . .

قاطعها بهدوء، ولكن قبل ان يترك لها فرصة للاجابة، تابع قائلاً:

- انسي ذلك، عزيزتي. سوف اخبرك كل شيء وبكلمات موجزة قدر الامكان.

وبمنتهى اليأس اخذ يتابع قوله:

- لقد دمرني يا ألانا.

توقف قليلاً ليأخذ نفساً واضاف:

- لقد عرف كونون سراً خطيراً كنت احتفظ به لنفسي.

توقف ماكس عن الكلام مرة اخرى واستدار نحو النافذة. سار اليها ببطء، يسحب الستائر عنها. كل شيء في الخارج كان يخلد الى السلام والراحة. الزهور الجميلة العطرة، الجبال العالية الصامتة، البحر الفسيح الداكن. واشجار النخيل المتمايلة تتطلع الى فوق باتجاه السماء المتلألئة. اما هذان الاثنان في الداخل، ماكس وألانا، فقد فقدا كل سلام وراحة، وخيم عليهما الخوف والقلق.

وعاد ماكس للكلام:

- منذ زمن طويل، احتلت على رجل كبير السن وسرقته. وصدف انه ذو قرابة بكونون. . .

فصاحت برعب:

- أنت سرقت مال احد؟ هذا مستحيل! فأنا منذ عرفتك، منذ عملت معك عرفت انك مثال الأمانة والشرف.

- اليوم نعم. ولكن قبل مجيئك لا، لقد اصبحت مرة على وشك الافلاس حيث فقدت تقريباً جميع اموالي في طيش الشباب.

صمت عن الكلام لحظة وابتلع ريقه ثم قال:

- دخل علي مرة في مكتبي رجل يوناني كبير السن، يعرض علي قطعة من مة لأشتريها. ولما كان على خصام مع ابنه الوحيد، ويريد ان

يحرمه من الميراث، اراد ان يبيع جميع ما يملك من اراض. ذهبت معه الى اليونان وعاينت الأرض فلم اصدق ان الحظ سيوافيني هكذا. كانت الأرض افضل واجمل ما في البلاد. فاشتريتها منه بثمن بخس، ثم بعتها بربع مليون من الجنيهات. . .

صاحت ألانا مرتعبة مما تسمع:

- ماكس! لا! آه، لا، لا يمكنك ان تفعل ذلك!

- لا تنسي اني كنت على شفير الافلاس.

استدار ماكس وخفض ناظريه، غير قادر على تلقي نظراتها. وتابع:

- نعم، ألانا، لقد فعلت. كل منا لديه نقطة ضعف، جميعنا لديه ما يخفيه. وحسبت ان سري سيبقى طي الكتمان، يا الهي! تصوري ان كونون كان على علم بهذا السر طيلة هذه المدة. . .

- وهو يهددك الآن، أليس كذلك؟

كان ايمانها بماكس قوياً. كانت تثق بكل ما يعمل، وترتكز في عملها معه على امانته المطلقة. والآن تعلم بهذه الجريمة النكراء، وليس من احد آخر، بل من ماكس نفسه.

كررت سؤالها، لتعرف الحقيقة:

- اهو يهددك، ماكس؟

بدت المرارة في قسمات وجه ماكس وبصعوبة تكلم:

- نعم يمكنك ان تسمي ما يقوم به تهديداً. ومن قبل ان اصف اي شكل من التهديد يستعمله معي، يجب ان اشرح لك بعض الأمور.

صمت قليلاً يستجمع افكاره، ثم قال:

- ان ذاك الرجل المسن اللطيف من ماني، وهي منطقة من مناطق اليونان مثل جزيرة كريت، لها تقاليدها وعاداتها. ومن هذه العادات واحدة لا يكاد المرء ان يصدقها، وهي الأخذ بالثأر. اظن انك لم تسمعي بالثأر، فدعيني اوضح لك.

اخبرها ماكس ان الثأر عادة متأصلة عندهم، واذا لحق اي ظلم او ضرر بشخص ما، فان افراد عائلته مستعدون للأخذ بثأره، والانتقام من الشخص الذي الحق به الأذية. وان لم يجدوا ذلك الشخص فانهم يوقعون العقاب بشخص آخر من افراد عائلته، عقاباً قد يكون احياناً امر

من القتل.
- وكونون هو الذي اخذ على عاتقه مسألة الثأر منك؟
تطلعت الى ماكس، فرأت تعابير اليأس القاتل بادية في عينيه الرماديتين، واضافت:
- ولكن ماذا يمكنه ان يفعل؟ اعني انك اشتريت الأرض ودفعت ثمنها. فبأي شيء يستطيع ان يهددك؟ هل يستطيع؟
وبعد برهة صمت قال ماكس:
- في خلال ساعات بعد توقيع العقد، جاء الرجل يريد ان يلغي العقد، ولكني رفضت. واظن انه قضى بسبب ذلك. ألانا، لا ادري ما الذي اصابني، لم فعلت ذلك؟ انه لا شك الطمع! مجرد الطمع!
كان يعاني الكثير من عذاب الضمير. فقالت له ألانا:
- شيء فظيع يا ماكس!
- اعرف ذلك ، آه، انا اعرف ذلك يا ألانا!
اخفى عينيه بيديه، اهتزت كتفاه، وامتلأت عيناه بالدموع.
اثرت حاله في ألانا كثيراً، وصعب عليها ان ترى رجلاً يكاد يبكي، ففاضت عيناها بالدموع. وخيم عليهما الصمت فترة، حتى استطاعت ان تمسك نفسها وقالت:
- ماكس، كنت اريد ان اقول قبل ان تقاطعني، ان الأمر ولو كان شنيعاً، ليس لك ان تخشى كونون. لقد قلت انه يهددك، وانا لا اجد فيما قلت ما يجعله متمكناً من ذلك. اريد ان اعلم لماذا يهددك؟ ماكس، عزيزي ماكس، لا تخشى شيئاً، فهو لا يملك مأخذاً عليك. . .
- العقد لم يكن قانونياً. . .
تكلم ببطء، ينظر اليها وشفتاه ترتجفان. . . وتابع:
- انا اعرف انه لم يكن قانونياً، ولكن الرجل المسن لم يكن يعرف.
تكلمت ألانا، وقد جف ريقها وبصعوبة خرجت الكلمات من بين شفتيها:
- انت . . . انت خدعته يا ماكس، كما. . .
ومن قبل ان تكمل، قال:
- نعم فعلت، ألانا.

- اذن يمكنه ان يقدمك للقضاء؟
- نعم هو كذلك. واذا حوكمت، فاني سأقضي وقتاً طويلاً في السجن هنا. بالاضافة الى اعادة المال الذي استلمته ثمن الأرض. وهكذا ستنهار المؤسسة وسمعتي ستلوث.
- ستنهار . . . مستحيل!
كان ماكس قد وسع اعماله، وفتح لمؤسسته فروعاً في كندا واستراليا. كما كان اكثر تجار الأملاك احتراماً في لندن. كلمته فوق الشبهات. وجميع الذين يقصدونه، يأتون اليه وكلهم ثقة به وبأمانته. ومع ذلك فقد كانت في حياته هذه الوصمة السوداء.
لقد صدمت ألانا بما عرفت، وبأنها كانت تعرف القليل جداً عنه. كان حزيناً وآسفاً على ما فعل، وهذا يعني في رأيها، انه غير شرير. لقد كان يافعاً في ذاك الوقت والتجربة قوية فلم يستطع مقاومتها. واما الآن فليس لديها اي شك على الاطلاق، انه يستطيع مقاومة جميع التجارب.
وبعد فترة صمت، عادت تقول بصوت راح ينخفض حتى اصبح كالهمس:
- لن تنهار، ماكس، لن تنهار اعمالك الرائعة. . .
- يجب ان اواجه الحقيقة ألانا. لقد انتهيت!
اقتربت منه حتى كادت تلمس يده:
- لا ! انت لم تخبرني عما يريد بالضبط. فأنا متأكدة ان هناك طريقة للخروج من هذا المأزق.
ابتعد عنها وسقطت يدها الى جانبها. لقد كان يمر بمأساة. ولكن لا بد ان يكون هناك مخرج.
- هناك طريقة واحدة للخروج، ولكني على غير استعداد لأن اخبرك بها. . .
قاطعته ألانا بتلهف:
- ولكنك قلت انك ستخبرني بكل شيء، فقد اخبرتني الكثير، وما عليك الا ان تكمل الباقي.
- لا استطيع.
كان صوته ثابتاً. ولكن ألانا توصلت الى حل، ولمعت عيناها الجميلتان

ببارقة امل، وقالت:

- انت تملك الآن مبلغاً كبيراً من المال، ويمكنك ان تستدين مبلغاً آخر. وعندئذ يمكنك ان تعيد المال للابن.

خيم سكون عميق عليهما وعندما تكلم كان الحزن يقطر من كلماته:

- لقد انتحر الابن، ألانا...

توقف عن الكلام بضع دقائق وكتفاه تهتزان، ثم تابع:

- لم اكن اعلم بذلك، حتى اخبرني كونون هذه الليلة. الا تدركين يا ألانا؟ لقد قتلت رجلاً!

احست ألانا وكأن دفق الدم توقف في عروقها. وسمرت في مكانها لا تستطيع الكلام.

وتابع ماكس قوله:

- اني اتعذب... ويجب علي ان اعاني حتى آخر يوم في حياتي!

حاولت ألانا ان تتكلم، ان تخفف عنه بعض آلامه، وخرجت الكلمات من فمها بصعوبة ولكن برقة وعذوبة:

- ماكس لا تقلق الى هذا الحد، فأنا لا استطيع ان احتمل رؤيتك على هذه الحال.

اغرورقت عيناها بالدموع، وسرعان ما تذكرت كلمات كانت تقولها والدتها لها:

- مشكلتك انك رقيقة القلب، فأنت لن تصادفي الأذى في حياتك فحسب، وانما ستخدعين ايضاً بأناس اكثر منك حذقاً. كوني حذرة يا بنيتي، وحاولي ان تري ما في داخل القلوب.

كانت والدتها تحذرها وتريدها ان تغير من طبيعتها، ولكن ألانا لا تستطيع ان تفعل ولا تريد. فان كانت رقتها وحنانها يبعثان العزاء والسلوى في قلوب الآخرين، فهي تكون سعيدة جداً بقدرتها على المساعدة. والآن، رغبتها الوحيدة هي ان تساعد ماكس. ماكس الذي كان لطيفاً معها، وحسن المعاملة، طيلة الوقت الذي عملت معه. فهو الذي اعادها الى العمل عندما احتاجت لذلك. واكثر من ذلك فهي لن تنسى ما دامت على قيد الحياة، انه جازف مرة بحياته من اجل ان يخلصها من بناء كان يحترق وهي في داخله. فهي مدينة له بحياتها، ولن تنسى انها وعدت ان ترد له

الجميل في يوم من الأيام.

بعد فترة صمت خيم عليهما، قال ماكس:

- اذهبي الى فراشك عزيزتي، لا بد انك متعبة جداً.

اجابت بصوت حازم:

- لن اذهب، اريد ان اعرف ما هي مطالب كونون.

الح عليها بالذهاب، واصرت ان تسمع الجواب.

- ألانا...

- نعم، ماكس.

خرجت الكلمات متقطعة من فمه وهو يقول:

- انا لا استطيع ان اخبرك عن ماهية تهديد كونون.

- تهديد؟

رددت كلمته، وقد حل في نفسها احساس بأن ماكس يريد ان يخبرها كل شيء عن انذار كونون، ولكنه يتظاهر بأنه غير راغب في ذلك. واضافت:

- لم افهم شيئاً!

- ارجوك اذهبي الى فراشك، ولا تصري اكثر.

ضاقت عيناها وبدا صوتها جافاً بارداً وهي تقول:

- اظن انه من الأفضل ان اذهب واسأل كونون نفسه. لعلي استطيع ان اعرف منه اكثر.

توقفت قليلاً وبقي ماكس صامتاً، ثم اضافت:

- ان الأمر يشملني، أليس كذلك؟ ولولا ذلك لما سألتك اية ايضاحات. كونون قال لي انه اذا اخبرني فلن يغمض لي جفن.

لاحظت جمود ماكس، واستدارت نحو الباب، وما كادت تبلغه حتى سمعته يقول بصوت منخفض:

- سأوفر عليك مشقة الذهاب اليه. فان تهديده....

وتوقف مرة اخرى، وعادت اليها تلك الفكرة الغريبة بأنه يتظاهر بالامتناع عن القول، ولكنه تابع:

- هذا لن يغير في الأمر شيئاً، ألانا، فأنا لن اسمح لك بان تضحّي بنفسك من اجلي.

دارت ألانا على نفسها، وقد زاغت عيناها:
- اضحّي بنفسي!
قشعريرة اعترتها، هزت جسمها هزاً، اشبه بقشعريرة الموت.
واستطاعت بصعوبة ان تسأل:
- ماذا تعني ماكس؟
جهد لحظة ثم قال:
- انه يمنحني حريتي، اذا استطعت ان اقنعك بالزواج منه. فهو يعرف اني انقذت حياتك مرة من الحريق، ويعتمد الآن على ردك للجميل.
- هو يعرف انك انقذت حياتي؟ كيف عرف ذلك؟
هز ماكس رأسه وقال:
- يبدو انه يعرف كل شيء عن كلينا. انه امر يكاد لا يصدق، ولكنه الواقع. يبدو ان له في لندن من يدوّن له حركاتنا وسكناتنا.
صمت لحظة، ينظر اليها مباشرة، ثم تابع:
- يظهر انه لم يتوقف عن رغبته في الزواج منك طيلة هذه السنين. ولست ادري ما الذي يدفعه للاصرار على الزواج منك بهذا الشكل، اهو الحب مثلاً؟ حاولت ان استدرجه لأعرف السبب ولكني لم افلح.
- اهو واثق انني سأتزوج منه كي انقذك؟
جاهدت كي تضبط نفسها كما كانت تفعل دائماً. ولكن الحكم بالموت اهون عليها ألف مرة مما يطلبه. واخذت تفكر بالماضي. تتذكر مشهداً تتخيله في ذهنها ولكنها لم تره. مشهداً قيل لها عنه، ان ماكس كان بطل الساعة في ذلك الحين، خاطر بحياته ليخرجها من المكتب الذي اشتعلت فيه النيران. كانت فاقدة الوعي. واستطاع ان يخرجها سالمة قبل ان يسقط سقف الغرفة وينطبق على الأرض بثوان معدودة.
خرجت ألانا من الحريق سالمة، لا اثر للحروق على جسمها. اما ماكس فسيبقى مدى الحياة يحمل علامات الحروق على كتفيه وظهره.
انتبهت ألانا الى انها شردت طويلاً، وعادت تقول:
- لقد كان واثقاً من انني سأكون زوجته. والآن عرفت سبب هذه الثقة.
- ثقة في غير محلها.
قال ماكس ذلك وهو يهز رأسه، كأنما يريد بذلك ان يضيف قوة الى

كلامه، وتابع:
- لن ارضى ان تضحي بنفسك من اجلي، وانا اعني ذلك.
صوته كان ثابتاً، ولكن ثمة شيئاً مبهماً فيه، تجاهلته. وافكارها عادت الى كونون الذي يبدو انه كان يتابع كل ما يجري معها، فلماذا؟ لماذا يريد ان يتزوجها؟ لا يمكن ان يكون الحب، فلا شك ان هذا الشعور قد مات منذ زمن طويل. اما الرغبة في تنفيذ كلامه فقط، فهناك احساس في داخلها بأن الحقيقة ليست كذلك. فاذا لم يكن السبب لا هذا ولا ذاك فلماذا اذن؟
تطلعت نحو ماكس، كانت تعابير وجهه غير واضحة المعاني، وكذلك صوته. ولكن لم يكن لديها الرغبة لتتحقق من ذلك حالياً، وقالت:
- يعني ان زواجي من كونون يحميك من العقاب ومن الدمار. . .
- ألانا. . . (قاطعها قبل ان تتمكن من اتمام كلامها) لن اسمح لك ان تضحي بنفسك، دعينا ننسى كل شيء عن هذا، انسي الجميل الذي تذكرين دائماً انك مدينة به الي، وكذلك الوعد الذي قطعت على نفسك. فأنا اذعن للدمار، والعقاب، والسجن.
انقطع عن الكلام، وألانا تنظر اليه، ومع كل ما رأته من تعابير محزنة على وجهه، فانها قطبت حاجبيها بكثير من الشك. لم يكن من الضروري ان يذكر الدين الذي له في ذمتها، وان يذكرها بالوعد الذي وعدت. فقالت:
- ماكس، انت انقذت حياتي بمحض ارادتك، واذا جاء يوم استطيع فيه ان ارد المعروف، سوف افعل، مهما كان الثمن.
صممت ألانا ان تفي بوعدها، من غير ان يذكرها بذلك. فسوف تنقذ ماكس، طالما ذلك في قدرتها. انها مجبرة اخلاقياً ان تنقذه من اجل شرف الوعد الذي قطعته على نفسها. وصممت ان تفي به وقت الحاجة. والآن جاء الوقت المناسب لتفعل.
وفي لحظة رعب وجدت نفسها تتردد، عندما فكرت في حياتها وكيف ستقضيها مع كونون. كما فكرت بمرارة بالقدر القاسي الذي يعبث بها للمرة الثانية. الضمير، الشرف، المسؤولية، كل هذه كانت تلح عليها. وايقنت ان لا مهرب لها البتة.

مفزعة هي الحياة وتعسة مع كونون، الرجل الذي، وبدون رحمة، استغل معرفته بالخفايا كشبكة يجرها بها اليه ويضعها تحت سيطرته.
ـ ماكس. . .
واضطرت ان تنتظر بضع لحظات قبل ان تستطيع ان تهيء الكلمات لتخبره، انها قررت ان تكون زوجة كونون.
ـ لكن، ألانا. . .
قطعت كلامه بايماءة من يدها.
ـ لقد قررت، ولذا، ارجوك دعنا من هذا الأمر نهائياً.
هرب الدم من شفتيها بعد ان نطقت بكلماتها الأخيرة واستدارت نحو النافذة. وبكل المرارة التي تعتمل في نفسها، اخذت بجو الهدوء والسلام الذي يلف الطبيعة خارجاً، ذاك الذي فقدته والى الأبد.
في المرة الأولى ضحت بنفسها. وكان القدر لطيفاً بما يكفي فحررها سريعاً. ولكن الآن ليس لها اي امل في الخلاص. فعليها ان تعوّد نفسها على حياة العذاب مع رجل احبها مرة، ثم كرهها. يلومها على زواج غير سعيد اكرهت عليه.
واستطاعت اخيراً ان تقول:
ـ لماذا لم يقم بهذه المساومة من قبل؟
ـ كيف يمكنه ان يتزوج منك، ولديه زوجة؟ ولكن عندما ماتت زوجته، قام بهذه اللعبة الحقيرة.
توقف ماكس عن الكلام، ولاحظت ألانا انه لم يعد يبدي اعتراضاً. وهذا يعني انه ارتاح لاختيارها الذي يرفع التهديد الجاثم على صدره. وتابع يلمح انه من الممكن ان يكون كونون هو الذي قتل زوجته، فصاحت:
ـ ماذا تعني بالضبط؟
هز كتفيه وقال:
ـ انا لا انزهه عن القتل. ولكن لا يمكن ان يرتكب معك جريمة كهذه، فلا تقلقي على سلامتك. ألانا لا تنظري الي بهذه الطريقة!
ابتعدت ألانا لتخفي عنه التعاسة التي بدت في عينيها. فهو اذن لا يبالي بما يحدث لها. والآن عرفت انه منذ البدء كان يتعمد ان يخلق وضعاً تكون

نهايته التضحية بها.

ذكرت الآن احساسها منذ دقائق، فقد كان ما يبديه من عاطفة مجرد وسيلة حتى يفلت بجلده. فهو لم يعد يحاول ان يثنيها عن القرار الذي اتخذت.

كانت على حق، ففي الصباح التالي غادر مبكراً، وترك ملاحظة سلمها الخادم لألانا فور نزولها من غرفتها.

اخذت تقرأ: «الوداع، واشكرك. ارجو الا تكون الأمور سيئة جداً. على اية حال فلديك جميع وسائل الراحة والرفاهية».

وكانت الورقة موقعة باسم ماكس.

شحب لونها. ورفعت نظرها نحو اليوناني الداكن الذي ظهر من غرفة الطعام ووقف الى جانبها، يقرأ من فوق كتفها الورقة التي كانت بين يديها. وردد:

- على اية حال فلديك جميع وسائل الراحة والرفاهية. نعم يا جميلتي ألانا سوف يتوفر لك كل هذا. لأن هذا كل ما يهمك! فالمخلوق الذي فضلته علي لم يترك لك شيئاً، وذاك ما كنت تستحقينه.

كان النصر يشع من عينيه، والسخرية تبدو على شفتيه حين تابع يقول:

- والآن وبعد كل شيء، اصبحت لي. انت التي اتخذت القرار وانا قبلت به. رئيسك لعب لعبة بمنتهى الأنانية عندما سرق ذلك الرجل المسن. لقد كنت مخطئة في رأيك فيه، أليس كذلك؟

احنت ألانا رأسها وقالت:

- بدأت ادرك انه منذ البداية كان يريدني ان اقطع الوعد الذي يلزمني بالوفاء.

- انه رجل شرير حتى ولو انه انقذ حياتك.

- لا اريد ان اتحدث عن ماكس. فأنا مدينة له بحياتي.... والآن ارهن هذه الحياة، من اجل حمايته من شرورك.

- كوني حذرة من كل كلمة تقوليها.

لقد حذرها وهو يقترب منها، وبيد خشنة رفع رأسها، وتابع يقول:

- انا لست الشاب المريض بحبك الذي عرفته مرة. لقد تغيرت والى الأسوأ. واعرف تماماً كيف اعاقب الذين يغضبونني.

شدد الضغط على ذقنها، واضاف:

- تعلمي كيف تنحنين امام ارادتي! ستكونين زوجة يوناني خاضعة كلية لسلطته.

فر اللون من وجه ألانا، واخذ قلبها يضرب بشدة بين جنبيها ولكنها لم تتكلم.

- حسناً، أليس عندك ما تقولينه؟ شيء تسألينه؟

- سؤال واحد فقط.

- ما هو؟

- لماذا تزوجتني؟

- للانتقام! تزوجتك كي انتقم منك. بسببك قضيت سنوات طويلة اعاني اقسى العذاب... والآن، ألانا، عليك ان تدفعي الثمن. سوف اعاقبك من اجل تلك السنين الضائعة. السنين التي كانت ستختلف لو انك قبلت بي زوجاً، يوم طلبت منك ذلك. يوم كنت احبك. اقسم بالله، لسوف اعذبك عذاباً لا يمكنك احتماله. واجعلك تتمنين لو انك انت التي مت، بدلاً من ذاك الحيوان الذي كنت تفخرين به زوجاً.

ضبطت ألانا اعصابها، وقالت بهدوء:

- يبدو انك تعرف الكثير...

- جعلت ذلك شغلي الشاغل لأعرف بانتظام كل شيء عنك.

- ولكن يظهر انك لم تعرف الظروف التي قادتني الى ذاك الزواج.

تقدم كونون نحوها، ولكنها لم تنسحب فقد فر الخوف من قلبها في تلك اللحظة وامتلأ بالكراهية التي طغت على كل عاطفة سواها.

بعد لحظة صمت قال:

- في ذاك الحين صدقت انك لن تتزوجي. وكان عندي امل في ان اغير رأيك. ولكن مع الأسف سرعان ما تزوجت، قبل ان اصل الى بلدك والاحق اخبارك.

توقف عن الكلام لحظة، واخذ نفساً عميقاً ثم تابع:

- انت على حق، فأنا لا اعرف الظروف التي قادت الى زواجك، ولا اريد ان اعرف. وكل ما يهمني انك فضلت ذاك المخلوق علي.

نظرت ألانا اليه تريد ان يعطيها فرصة تبرر زواجها، ولكنه اصر على انه

لا يريد ان يسمع شيئاً. فهزت كتفيها تحاول ان تمضي، ولكنه امسك بها فجأة بعنف يمنعها من الذهاب، ويقول:

ـ لا تنظري الي متسائلة بهذه الطريقة والا سأجعلك تندمين على ذلك.

٤ - في تلك اللحظة التي اراد ان يحتفظ بها لنفسه، حين استسلم لآلامه وأزاح قناع الشر عن وجهه، رأته ألانا وقد القى سلاحه جانباً. . .

كانت الأيام تمر تباعاً، واشمئزاز ألانا من زوجها يتضاعف مما يزيده غضباً على غضب، وعنفاً على عنف. لا شك انها كانت تخافه ولكنها كانت تخفي هذا الخوف، وتتظاهر بالبرود وتعامله بكل احتقار. وفي عرفها كان يستحقه. . .

ـ سوف تندمين على هذه الغطرسة.

حذرها بهذه الكلمات ذات مساء، بعدما انتهيا من تناول طعامهما، وخرجا الى فناء المنزل ليشربا القهوة.

ـ لقد اهنتني امام كوستاجيس وكاتينا.

نظرت اليه باستغراب:

ـ تحسب انك تستطيع ان تقنع خدمك ان ما يربط بيننا هو الحب؟

- احذري.
قال ناصحاً، وكان صوته منخفضاً لكن مخيفاً، وأضاف:
- لقد هددتك اكثر من مرة، وقلت انني سأجعلك تندمين!
شحب لون ألانا ولكنها لم تتكلم. واستمر هو في كلامه.
- سوف اخضعك لارادتي، فالنساء اليونانيات يتعلمن الطاعة بسرعة...
قاطعته قائلة:
- لكني لست يونانية. انا انكليزية، والخضوع ليس من شيمي.
كان الغضب بادياً في عينيه ولكن كان هناك ايضاً بريق من الاعجاب.
- يجب ان اعترف انني معجب بروحك.
- شكراً لك.
- مع ذلك، فانه يسرني ان احطمها.
- هل سبق وحطمت روح زوجتك السابقة؟ يبدو لي انها هي التي حطمت روحك.
توقفت وهي تصرخ من الألم، فقد امسك بمعصمها ولواه.
- اياك ان تذكريها ثانية. فأنا لا اسمح لأحد ان يذكرها في هذا البيت، وقد اقتلك لذلك.
انكمشت ألانا في مقعدها، تفرك معصمها، وتساءلت، ترى هل فيه مس من الجنون؟ كاد الخوف يخنقها وهي تفكر بكلمات ماكس عن كونون، عندما قال لها انه من الممكن ان يكون قاتلاً. فهل قتل زوجته يا ترى؟ وقتلها خنقاً؟
بصعوبة حاولت ان تبعد هذه الأفكار عن مخيلتها، ويدها على عنقها ووجهها شاحب كوجوه الموتى. وقفت لتذهب، ولكنها لم تستطع ان تتحرك.
سأل كونون:
- ما الأمر؟ هل انت مريضة؟
كان ينظر اليها، يتفحصها، ولاحظ لونها الشاحب وشفتيها المرتجفتين.
- نعم كونون، إني مريضة.
خرجت كلماتها سريعة من بين شفتيها، واستدارت لتغادر المكان.

ولكن صوته الحاد اوقفها وجعلها تستدير ثانية. قال:
ـ ابقي مكانك! أنا لم اقتنع أنك مريضة.
ـ آسفة... ربما لست في وضع يسمح لي ان ابرهن على ذلك، فعليك ان تثق بكلامي. اريد ان ادخل...
ـ اني مثل هذا الوقت؟ والليل لا يزال في اوله، فتياً، جميلاً. انه ليل المحبين يا جميلتي، ونحن محبون، ألانا، أليس كذلك؟
ـ لا تكن سخيفاً.
صاحت ألانا وقد انقلب خوفها الى غضب، وتابعت:
ـ يا للسخرية، اتتحدث عن الحب وقد اعترفت انك تكرهني؟ وانا ايضاً متأكدة اني لا احبك، ولن استطيع!
ولدهشتها لم يعلق على كلامها، بل قال في هدوء:
ـ اجلسي ألانا، فأنا في حالة لا احب فيها ان اكون وحيداً.
وتساءلت ألانا، ترى لماذا يخشى ان يبقى وحيداً؟ ايريد ان يهرب من افكار تقلقه، افكار شريرة مثلاً؟ وفجأة فكرت بزوجته الأولى واحست برغبة شديدة ان تعرف شيئاً عنها، وعن موتها!
كونون كان ينظر اليها بكبرياء وهو يأمرها بالجلوس. رفعت ألانا وجهها اليه وبريق الغضب يشع من عينيها، وقالت:
ـ انا متعبة، ليلة سعيدة.
ـ ستبقين في رفقتي.
اجابت ألانا وقد ضبطت اعصابها بصعوبة:
ـ لست مجبرة على ذلك. فلو كنت انت الذي يريد الذهاب الى الفراش لفعلت من غير ان تسألني.
ـ بالتأكيد. فأنا السيد هنا. افعل انا ما اريد، وتفعلين انت ما آمرك به.
كان كلامه قاطعاً لا يقبل الجدل.
ـ اجلسي.
وبعد تردد قصير فعلت ألانا ما امرت به. ثم اضاف:
ـ ارى انك تتعلمين بسرعة، يا فتاتي.
وبقيت ألانا صامتة لا تجيب. اما كونون فقد تابع كلامه تبدو في صوته نبرات السخرية المعتادة:

ـ انا اعرف ان الغضب يغلي في صدرك، ولكنك لا تجسرين على اظهاره. الواقع اني اهنئك على حكمتك.

ارتجفت ألانا والكره المميت يملأ قلبها وعيناها تتقدان بالحقد العميق، وقالت:

ـ ربما لا استطيع ان اكون حكيمة دائماً! ولو كنت انت تملك شيئاً من الحكمة، لما استعملت مثل هذا الأسلوب في معاملتي، فبذلك تدفعني بعيداً.

ابتسم كونون قائلاً:

ـ بعيداً، الى اي شيء مثلاً؟

ـ الى عدم القدرة على الاحتمال. انت نفسك اعترفت ان لي روحاً عالية.

ـ وان كنت تذكرين، فقد قلت ايضاً انني اريد ان احطمها.

نظرت ألانا اليه بازدراء، وقالت:

ـ اعتقد انني هنا، حتى لا تكون وحيداً. وبناء على ذلك فاني اقترح ان نحاول ان نجعل نقاشنا مسليا. فتهديداتك المستمرة اصبحت مملة.

كانت جريئة في كلماتها. وخلال الصمت القصير الذي تلا ذلك، كانت تتوقع اجابة قاسية مليئة بالاهانة من زوجها. ولكن لدهشتها، رأت في عينيه بريقاً من المرح خفف حدة القسوة التي كانت تطل منهما. حتى انها في لحظة تائهة لمحت فيه معالم الرجل الذي عرفته منذ زمن.

رعشة غريبة رقيقة سرت في اوصالها، شيء لطيف محير من الذاكرة عاد اليها... نعم انها في يوم من الأيام كانت مولعة بجاذبية وجهه الذي كان يحمل كثيراً من المعاني العاطفية الرقيقة. مولعة بلطفه، بطباعه المرحة، بابتسامته العذبة وضحكته الحلوة، ففي اي جحيم وقع هذا الرجل حتى تغير الى هذا الحد؟

وبعد وقفة لم تدم طويلاً، قال كونون:

ـ ربما تهديداتي مملة كما تقولين، ولكن اطمئني فسيأتي يوم لا تملين منها فيه، لأنك ستكونين مشغولة بمداواة جراحك.

فرّ اللون من وجه ألانا وسرى اليه الشحوب، فلا شك انه يعني ما يقول. وترددت قليلاً ثم قالت:

ـ في ذات يوم لم تكن تحلم ان تمد يدك نحو امرأة!
ـ ولكني لست الرجل الذي تعرفين. وقد سبق وحذرتك.
ـ لست بحاجة لكي تنذرني. يمكنني ان ارى ذلك بنفسي.
ـ هل ندمت انك مررت بي ذات يوم؟
ـ ليس الأمر مهماً الآن...
رفع كونون حاجبيه سائلاً:
ـ هل تعنين انك لست مهتمة بزوجك؟
ـ لماذا اكون، فلست الزوج الذي اخترته بارادتي. لا تنس ذلك.
بدا الغضب في عيني كونون، واطبق بشدة على الكأس في يده. لاحظت ألانا ذلك، وانتظرت هجومه... ولكنه قال باتزان:
ـ لا، انا لست باختيارك، ولكن ذاك المخلوق الأبله كان بملء اختيارك، أليس كذلك؟ لقد اخترته! فبأي شيء خرجت من ذاك الزواج؟ لم يترك لك شيئاً. كم كنت تعيسة...
قاطعته ألانا بحدة، قائلة:
ـ هل يمكن ان نغيّر الموضوع؟ اذا كنا لا نستطيع ان نتحدث بقليل من اللطف والمودة، فبحق السماء، دعني اذهب الى غرفتي.
وبالرغم من غضبها الشديد، شعرت انها مهزومة امام قوته. وليس هناك خيط من رجاء. ولدهشتها رأته يهز رأسه وقد ظهر التجهم بين حاجبيه وهو يقول:
ـ حسناً، اذهبي الى غرفتك، اذا كان هذا ما تفضلينه.
نظرت اليه تكاد لا تصدق ما تسمع، وسألت:
ـ هل تعني ذلك حقاً؟
بدت المرارة على وجهه، وهو يجيب:
ـ نعم اني اعني ذلك. اذهبي الى فراشك. ليلة سعيدة.
وقفت ألانا على الفور، وتركت الفناء بأسرع ما يمكنها. وما ان ارتقت الدرجات حتى التفتت، لترى كونون متكئاً الى ظهر كرسيه، وفي يده كأس يديرها ذات اليمين وذات الشمال في حركة منتظمة. خطت ألانا خطوة اخرى الى الأمام، فوجدت نفسها تلتفت ثانية، وقالت في نفسها... هناك ما يحزن هذا الرجل الجالس كالجريح، وكأنه فريسة للأسى.

وبالرغم منها شعرت ببعض الألم. تريد ان تسرع اليه وتتحدث معه، تسأله ما به؟ ماذا يقلقه؟ ولكنه استدار فجأة، وقال غاضباً:

- اذهبي الى غرفتك! لماذا تحومين؟ قلت انك تريدين الذهاب، اذن افعلي ذلك وعلى الفور.

لقد غضب كونون لأنه عرف انه لم يكن وحيداً. في تلك اللحظة التي اراد ان يحتفظ بها لنفسه، تلك اللحظة التي استسلم فيها لآلامه الناجمة ولا شك عن حزن دفين، وازاح فيها قناع الشر عن وجهه، رأته ألانا وقد القى سلاحه. ولذا انفجر فيها غاضباً. لكن ألانا ذهبت من غير ان تنطق بكلمة. ترتجف ولا تدري، اذا كان ذلك حزناً عليه ام خوفاً منه.

طلع الصباح، ومشت ألانا نحو نافذة غرفتها. ازاحت الستائر حائرة مما لا يزال يخالجها، اهو الخوف الممزوج بالغضب، ام الممزوج بالشفقة؟ الشفقة! ابعدت هذه الكلمة عن ذهنها، ولكنها كانت كلما ابعدتها تعود ثانية الى تفكيرها وبسرعة. لماذا تشعر بالاشفاق على زوجها؟ فهو ليس الرجل الوحيد الذي كان زواجه مشؤوماً.

تمنت لو انها تستطيع ان تعرف شيئاً عن زوجته السابقة... وفجأة، مرت في خاطرها، كاتينا... تلك المرأة التي حاولت في مرتين سابقتين، ان تشعر سيدتها الجديدة انها تريد ان تفضي اليها ببعض الاسرار. ولكن في المرتين اوقفتها ألانا بحزم عند حدها. غير انها الآن تحس انه لا بأس لو سألتها بعض الاسئلة.

حدث مرة ان دخلت ألانا غرفة نومها، في اللحظة التي كانت كاتينا تريد ان تغادرها، بعد ما انهت ترتيبها. ابتسمت المرأة وهي تشير الى حلية ماسية جميلة ملقاة على طاولة الزينة وقالت:

- لقد اشتراها لك سيدي. أليس كذلك؟

هزت ألانا رأسها واجابت:

- لا، كاتينا. والدتي اشترتها لي قبل وفاتها بقليل.

أظلم وجه كاتينا، ووضعت يدها على فمها كعادتها وقالت:

- اذن توفيت والدتك وهي شابة؟

احنت ألانا رأسها:

- اجل يا كاتينا. لقد ماتت شابة.

مضت برهة من الصمت، بدا فيها التأثر على وجه ألانا. اما كاتينا فقد شجعها سلوك سيدتها على ان تقف الى جانب سريرها. فسألتها ألانا:

ـ منذ متى وانت تعملين عند السيد كونون؟

ـ انا وزوجي نعمل عند السيد كونون منذ مدة طويلة.

ـ اعني كم سنة؟

ـ سنوات عديدة، تسع... تسع ونصف...

نظرت ألانا الى المرأة، فوجدتها تبتسم سعيدة للتغير الذي طرأ على سلوك سيدتها نحوها.

ـ لكن هذا المنزل لا يبدو قديماً الى هذا الحد.

ـ الا تعرفين، سيدتي؟ الم يقل لك السيد كونون انه جاء الى هنا فقط منذ ثلاثة او اربعة شهور؟

عضت ألانا على شفتها لهذه الغلطة التي بدرت منها. ثم هزت كتفيها، وقالت:

ـ بالتأكيد، انه غباء مني! كان عقلي شارداً في امر آخر. ثلاثة او اربعة شهور... كان زوجي يسكن في جزيرة اخرى من قبل.

ـ نعم في جزيرة باتموس.

ـ باتموس؟ اني متأكدة انها جزيرة جميلة.

ـ انها جميلة جداً سيدتي.

وسكتت كاتينا لحظة تنظر في وجه ألانا التي ابتسمت لها تشجعها على الكلام. وأضافت ان السيد كونون ترك باتموس بعد وفاة زوجته الأولى في الحال. كما اتبعت ذلك بقولها:

ـ لكني اتوقع انك تعرفين ذلك سيدتي، لا بد ان زوجك اخبرك بذلك.

ابتسمت ألانا، فتابعت كاتينا:

ـ زوجي كان متزوجاً باخرى قبلي، وهو دائماً يتكلم عنها، ويقول انها تشتغل بجد اكثر مني ولكن هذا لا يعني انها افضل مني. والسيد كونون لن يقول ان زوجته الأولى افضل منك. لأنها كانت سيئة جداً...

توقفت كاتينا عن الكلام لما رأت تجهم سيدتها. ثم قالت:

ـ ألأنت غاضبة مني سيدتي لأني تحدثت عن الزوجة الأولى؟

في الواقع لم تكن غاضبة ولكنها استنكرت من نفسها هذه المناقشة مع

الخادمة. ومع ذلك فهي تريد ان تعرف المزيد عن تلك الزوجة. فهزت رأسها نفياً واصطنعت ابتسامة تشجيع، من غير ان تظهر لها انها متلهفة لسماع المزيد. وقالت:
- لا، كاتينا. لا، لست غاضبة منك.
- انا سعيدة سيدتي. هل رأيت؟ انت تختلفين عنها كثيراً.
توقفت قليلاً عن الكلام، ورفعت رأسها ومدت عنقها، واضافت:
- انها متغطرسة... نعم، انها تتحدث الي كأنها الملكة، وأنا امامها نملة صغيرة تحبو على الأرض! هل فهمت ما اعنيه سيدتي؟
- نعم لقد فهمت.
- وكما اخبرك سيدي، كان لها عِشاق كثيرون. وكان السيد كونون يتمنى ان يخنقها حتى الموت، لولا تدخل زوجي.
شحب لون ألانا وهي تتخيل كونون ويديه القويتين حول عنق زوجته. وتذكرت انه غضب مرة عندما رآها ترفع يدها الى عنقها. لعل حركتها تلك ذكرته بما كان يريد ان يفعل... بأنه كان يريد ان يخنق زوجته، لولا ان خادمه نجّاه من ذلك.
وبعد برهة صمت، تحدثت ألانا قائلة:
- كان وقتاً عصيباً بالنسبة الى زوجي.
- كان وقتاً فظيعاً جداً ومليئاً بالحزن عندما توفي الطفل الصغير.
واخذت كاتينا تتابع الحديث:
- كان جذاباً... طفلاً جميلاً، ابن السيد كونون. وقد كان فخوراً به كثيراً. وفي ذات يوم كانت زوجة سيدي مشغولة بالحبيب الجديد... ومن عادتها ان تجتمع به عندما يكون سيدي كونون بعيداً في اثينا يقوم ببعض الأعمال. بكى الطفل الصغير، وبكى... ولما لم يأت اليه احد دخل الى غرفة امه، فضربته ضرباً أليماً وألقت به بعيداً.
- ماذا تقولين؟ القت به بعيداً؟
صاحت ألانا وهي متعجبة ومشمئزة من هذه الصورة. ولكنها في نفس الوقت، صارت ترى زوجها بمنظار جديد. واعطته اعذاراً كثيرة لذاك التحول الفظيع الذي حصل له.
- نعم... ألقت به عبر الغرفة، فارتطم رأسه الصغير بزاوية الطاولة

الرخامية التي كانت للسيد كونون.

توقفت كاتينا قليلاً، ونظرت الى سيدتها، ثم اضافت:

ـ ألم يخبرك السيد كونون عن الصغير؟

ـ لا، كاتينا، فهو لا شك لا يحب ان يتحدث عنه.

ـ انت تريدين ان احدثك عنه. هذا ما اظنه، أليس كذلك؟

ـ نعم اريدك ان تخبريني بكل شيء.

ـ لقد احضر السيد كونون ممرضة لابنه، ولكنها في ذات يوم استدعيت للعناية بأمها المريضة. وأما انا وزوجي فقد كنا في منزلنا الصغير قرب منزل السيد كونون. وهكذا لم يكن في المنزل سوى زوجة سيدي وحبيبها.

هزت ألانا رأسها استنكاراً، ورفعت كاتينا يدها الى قلبها وهي تعيد:

ـ اخذ الطفل الصغير يبكي، فقد كان المسكين مريضاً... ولما لم يأت احد اليه، قام من فراشه وجاء الى غرفة امه. فثار غضبها وضربته ضرباً موجعاً كما اخبرتك ثم دفعته بقسوة حيث ارتطم رأسه بزاوية الطاولة. لقد أصيب برضوض في جميع أنحاء جسمه بالاضافة الى الصدمة الكبيرة في رأسه. ومات إثر ذلك. واستدعى الطبيب سيدي كونون، فجاء في الحال.

سكتت كاتينا عن الكلام وفي عينيها نظرة رعب. ومرت بضع لحظات والصمت يخيم على المكان، حتى استطاعت ان تعود الى الحديث:

ـ تذرع السيد كونون بالصبر، وحتى وجد نفسه اخيراً وحده مع زوجته. وعندها اطبق على عنقها يضغط عليه بشدة. لا بد انها قاومت لتتخلص منه لكنها لم تستطع. ولولا ان زوجي جاء في الوقت المناسب ولحق به عامل آخر وأنا، لكانت ماتت على يديه. فجميعنا تعاونا حتى استطعنا ان نبعده عنها ونمنعه من قتل تلك المرأة اللعينة.

بصعوبة كانت ألانا تبتلع ريقها. فقد فهمت الآن كل شيء وتذكرت كونون كما كانت تعرفه، ثم خيانة زوجته، وفجيعته بولده. واغمضت عينيها لتبعد عن ناظريها مشهد القتل...

ـ لقد عانى زوجي الكثير، ولا عجب ان يصبح على ما هو عليه...

كان صوتها منخفضاً جداً، ومع ذلك كانت تنظر نحو كاتينا راجية ألا تكون قد سمعت الجملة الأخيرة. ولكن المرأة كانت تحرك رأسها من جانب الى جانب.

ـ انه لخسارة ان يتزوج من تلك المرأة، ولكن كان يجب عليه ان يفعل.
ـ كان يجب عليه ان يفعل، ماذا تعنين بذلك، كاتينا؟
ـ أنا لا اعني انه كان يجب عليه ان يتزوج هذه المرأة بالذات. ولكن كان يجب ان يتزوج من اية امرأة. فقد اجبره ابوه على ذلك. كان السيد كونون يحب فتاة انكليزية، ولكنها رفضت ان تتزوج منه. أنا لا اعرف كيف يمكن لأية فتاة ان تقول لا للسيد كونون. لقد كان جميلاً جداً في ذاك الحين.

توقفت المرأة عن الكلام، ونظرت نحو ألانا معتذرة:
ـ أنا آسفة سيدة كونون...
ـ لا تعتذري. انا اعرف ان زوجي تغير شكله خلال السنوات التسع الأخيرة.

كانت زلة لسان من ألانا، اذ لا يبدو على كاتينا انها تعرف ان الفتاة الانكليزية التي تتحدث اليها الآن هي التي رفضت سيدها.
ـ كان والد السيد كونون قلقاً على امواله واعماله ان تذهب الى ابناء اخيه من بعده. ولذا الزم السيد كونون بالزواج حتى ينجب وريثاً. لقد حصلت بينهما مشاحنات كثيرة، لأن سيدي قال انه لا يزال يحب تلك الفتاة الانكليزية.

ومرة اخرى سكتت كاتينا عن الكلام واخذت نفساً عميقاً وهي تنظر الى سيدتها بشيء من الشك ثم قالت:
ـ أنت التي طلبت مني ان اخبرك بكل شيء، ولذا فإني أفعل.
ـ نعم اريد ان اسمع كل شيء.

لم تكن ألانا تتوقع في الحالات العادية ان تقف لتستمع الى كاتينا. ولكنها اضطرت ان تفعل. فهي تريد ان تعرف كل شيء عن زوجها.

احست بالاشفاق على زوجها وشعرت بالذنب. فلو انها تزوجت منه لما حلت به كل هذه المآسي، ولما عانى كل هذه المعاناة. ومن جهتها هي، لكانت تفادت الزواج من ذاك الرجل البغيض هوارد بيومونت.

كاتينا عادت للكلام ثانية وعرفت ألانا المقتطفات الأخيرة من القصة... وهي ان كونون عندما أيقن أنه لا يمكن ان يتزوج الفتاة الانكليزية، اختار فتاة يونانية وتزوج منها. وعزم على ان يكون زوجاً

صالحاً. واستمرت كاتينا في حديثها فقالت:
ـ كانت حياة السيد كونون سيئة للغاية. ولكن زوجته اخيراً توفيت في حادث سيارة هي والحبيب الأخير. والآن نأمل انا وزوجي ان يعيش سيدي معك حياة مليئة بالسعادة.
نظرت ألانا في الفراغ، وقد ادركت انها ليست غاضبة للحرية التي اعطتها للمرأة في الكلام. واصطنعت الابتسام شاكرة اياها على ما اخبرتها به، ثم اضافت:
ـ انا ممتنة لك كثيراً. فالآن افهم زوجي بطريقة افضل.
ـ سيدتي، وأنا اكون شاكرة لك اكثر لو احببت سيدي.
ومن دون اية كلمة اخرى استدارت لتترك الغرفة.
ـ كاتينا... ارجعي!
نادتها قبل ان تصل الى الباب.
ـ نعم سيدتي؟
ـ هل قدّمت والدة الطفل للمحاكمة؟
ـ انها الحقت العار بسيدي، بتصرفاتها المشينة. والسيد كونون كثيراً ما تحدث مع والده ومع الطبيب، ولكنهم قرروا ان هذا العار يجب ان يبقى سراً، ولم تقدم للمحاكمة. وأنا لم اخبر احداً بما قلته لك يا سيدتي، فأنت لك الحق بأن تعرفي كل شيء.
ـ اذا كان الطفل قد قتل، فكيف طمست القضية؟
ـ لقد قالوا انه سقط من الدرج الى الحديقة. انا اظن انّ تلك المرأة كانت مجنونة وشريرة. وعلى هذه الحال يمكن ان تعفى من العقاب.
ـ وهكذا اذن قرر السيد كونون ان ينتقل نهائياً من باتموس؟
ـ هذا هو الواقع، سيدتي.
بعد دقيقة، ذهبت كاتينا. وبقيت ألانا مع أفكارها. كان من الجلي ان كونون عزم على ان يبدأ حياة جديدة في بيت جديد وزوجة جديدة ايضاً، مبتعداً كلياً عن كل شيء يذكره بالماضي.
احست ألانا بالحنان والاشفاق يملآن صدرها. وتأكدت الآن انه تزوج منها للانتقام، لأنه يعدّها مسؤولة عن كل ما حدث له حتى موت ولده.

لو تزوج منها لم الت به جميع هذه المصائب. ولكنها مع ذلك لن تسامحه لأنه تزوج منها بهذا الأسلوب ورغم ارادتها. غير انها عزمت على ان تحاول ما استطاعت ان تعيد شيئاً من البهجة الى حياة زوجها...

٥ - خشيت على سلامتها بين يدي رجل مجنون كهذا. ذات يوم قد يستبد به الحزن الى درجة مرعبة بحيث لا يعرف ما الذي يفعل . . .

بالرغم من أن ألانا حاولت الكثير لتبعد عن نفسها القلق والشعور بالذنب، الا انها ايقنت ان ذلك مستحيل. فالفكرة تلاحقها في كل لحظة ودقيقة كالحلم المريع الذي يرفض ان يتراجع الى عالم النسيان، بعد الذي سمعت وعرفت.

ولكنها مع كل ذلك لم تستطع ان تتغلب على شعورها بالكراهية نحو كونون او لعلها لا تريد، فهي لن تنسى انها تزوجته مكرهة. وكانت اذا التقت به، لا تتمكن من اخفاء مشاعرها نحوه في اكثر الأحيان.

ـ كراهيتك لي غالباً ما تبدو في عينيك.

هذا ما قاله لها ذات ليلة عندما جاء الى غرفتها، ورآها تبتعد عنه الى الجانب الآخر من الغرفة، ثم تابع:

ـ ومهما كنت بغيضاً في نظرك عليك ان تتحمليني.
ولكن ألانا لم تقل شيئاً. وأخذ يذكرها بزوجها القديم وكيف رضيت به، دون ان يعرف انها لم تكن زوجته الا بالاسم.
ـ اني متعبة.
هذا كل ما استطاعت ان تقوله.
ـ تعالي الى هنا الآن.
هزت رأسها آلياً وهي تنظر من النافذة الى الخارج، حيث الشرفة الواسعة الطويلة التي كانت تجلس فيها احياناً تقرأ بعض الكتب، او تمتع ناظريها بروؤيا الحدائق والبساتين الممتدة حتى البحر.
ـ ارجوك، اذهب.
كانت تتعجل ذهابه، لأن الشعور بالاشفاق بدأ يغزو قلبها بالرغم من محاولتها طرده. وخشيت من الاشفاق ان يجعل موقفها من زوجها مرناً بحيث ترضى ان تستجيب له. وهي لا تريد ان تمنح كونون الرضى والارتياح، بشعوره انه هزمها كلياً. وعادت تقول:
ـ اذهب فأنا لا اريدك هنا، وانت تعرف ذلك.
ارتفع حاجباه البنيآن، واتخذ خطوة نحوها. هدوءه لم يخدعها فقد اعتادت على طباعه المتلونة.
ـ انت زوجتي يا ألانا...
ـ لا اظن ان هذا التذكير ضروري.
خبت ابتسامته وقال بنفس الطريقة الناعمة التي بدأ بها:
ـ في هذه الحالة، لست بحاجة ايضاً لأذكرك بواجبك.
احمر وجهها وعادت تنظر من النافذة، ثم قالت:
ـ يبدو انك لا تفكر ان هناك اموراً اخرى اهم من الواجبات والحقوق، أليس كذلك؟
كانت تقول هذا وتفكر بذاك الحب العظيم الذي كان يحمله لها، عندما قال ان زواجه منها نعمة من الله.
ـ انا لا يهمني مطلقاً ما تقصدين. تذكري انني يوناني. ونحن نقيم علاقاتنا مع زوجاتنا ولو كنا نحتقرهن.
ـ انت تحتقرني اذن؟

ـ على الأغلب، نعم احتقرك. ان تتزوجي من اجل المال، وتقبلي ذاك الحيوان زوجاً لك. . . فأي رجل محترم لا يحتقر امرأة مثلك؟

نظرت اليه، واصبحت على وشك ان توضح له الأمور. ذاك الايضاح الذي يبرئها امام عينيه. ولكن تعابير الاحتقار العميقة التي تبدو عليه، اسكتتها عن الكلام. وعلى اية حال فهو لم يعطها فرصة لتحكي له قصتها. وكان يتهمها دائماً بأنها تسعى وراء الأشياء المادية في الحياة. فلماذا اذن تزعج نفسها في تفسير ما غمض من امرها؟ وقالت في نفسها ليظن بها الظنون، ويتهمها ما شاء من اتهامات بأنها مادية وهمها هو المال، حتى انها تزوجت ذاك الرجل الذي اسماه حيواناً. ولكنها لا تستطيع ان تكون زوجة حقيقية لكونون طالما لا تربطهما صلة حب.

ـ اذن انت تحتقرني، وتتهمني. ولكني لا ابالي برأيك فيّ.

ضاقت عينا كونون، وقال:

ـ كم كنت مخطئاً في رأيي، يوم عرفتك. كنت انظر اليك كمثلي الأعلى. المرأة الكاملة.

نظر اليها باشمئزاز وتابع:

ـ كنت فتياً في ذاك الحين ولا اعرف شيئاً عن النساء او شرورهن.

انطفأ صوته وراح في تفكير عميق، واحست ألانا انه كان يفكر بما فعلت زوجته. وسرعان ما تغيرت ملامح وجهه واصبحت مخيفة وايقنت ألانا انه انتقل بأفكاره الى ولده.

اما هي، فقد اخذ الخوف والحنو يتصارعان في قلبها، وعرفت ان الحنان هو الذي ينتصر وليس الخوف.

قفز كونون عبر المسافة التي تفصله عن زوجته، وامسك بكتفيها بقسوة آلمتها. وقال:

ـ على الأغلب انا اعرف القليل من شرورهن. انهن مخلوقات حقيرات وكرهي لك قوي جداً، حتى. . .

ـ كونون!

صرخت ألانا وهي تجاهد لتتخلص من يده، ثم تابعت:

ـ انك تؤلمني. ارجوك دعني اذهب.

ولكنه بدلاً من ذلك، امسك بها بقسوة اكثر وألانا تصرخ، وهو

يضحك، ويقول:
- آلمتك؟ يمكنني ان اقتلك في وقت من الأوقات! سوف اجعلك تقاسين العذاب الواناً كما وعدت، كلما عادت اليّ الذكريات.
شحب لونها، وتراخت ساقاها، لولا يدي زوجها اللتين احتضنتاها ومنعتاها من السقوط.
- ارجوك دعني اذهب.
ملأت الدموع عينيها، وشعرت انها تريد ان تلغي الاتفاقية التي عقدتها معه وتهرب بعيداً عنه، بعيداً عن جزيرته، ولن تضع قدميها عليها مدى الحياة. ولكنها اضافت:
- اصحيح انك تستمتع بتعذيبي؟
- بكل تأكيد واحس بالسعادة والرضى!
احست ألانا بيديه تتراخيان شيئاً فشيئاً ثم وجدته يتركها ويتراجع الى الوراء. ولكنه بقي واقفاً امامها، تنطق تعابير وجهه بالشر، فهو الرجل الذي يستطيع ان يقتل. ولولا تدخل خدمه لقتل زوجته الأولى، ومن يدري ماذا سيفعل معها. سمعت ألانا صوته يعود للكلام:
- نعم اني احس بالسعادة من ايلامك. من جعلك تعانين الأمرّين. جعلك تدفعين ثمن ما قاسيت بسببك. منذ مدة طويلة وانا اخطط لأصل اليك والانتقام منك اشد انتقام لأنك رفضت الزواج مني.
تمالكت ألانا نفسها وسألت:
- وهل موقفك هذا منطقيّ؟
- الثأر لم يكن مرتبطاً بالمنطق في يوم من الأيام.
قالت في نفسها غريب امر هذا الرجل، فقد كان وهو اصغر سناً يوم عرفته، يمعن النظر في جميع افعاله، متزناً في تفكيره، يفكر بالعواقب. فما الذي جرى له الآن؟ اهو حزنه الشديد الذي شوش عقله؟
بقي واقفاً قريباً منها وهي تنظر اليه، الى عينيه الرماديتين الداكنتين لا تستطيع ان تسبر اغوارهما... ضيقتين مليئتين بالكراهية. أعمى عن كل شيء الا عن اشباع رغباته، وانتصاره من غير رحمة.
بدأ قلبها يعلو ويهبط، فاتخذت خطوة الى الوراء. ولاحظت غمزات عينيه الساخرة بحركتها تلك، واقفاً امامها كالعملاق، واثقاً من نفسه.

وشعرت ألانا أنها وقعت في الفخ.
اقترب كونون منها اكثر. ويده المرتجفة لامست وجهها. وفجأة ضمها اليه، ثم غاصت الغرفة في الظلام.
كان نائماً وهي تحملق فيه باستغراب. فامارات الشرّ قد زالت عن وجهه، ورأت فيه الرجل الذي عرفته ذات يوم. كثير الود والقدرة على ان يحب بصدق. والابتسامة تبدو على شفتيه كمن تمر في مخيلته ذكريات مفرحة، حلّت مكان تلك الذكريات الموحشة المخيفة.
في الليلة الماضية نامت وحكمة الهروب ترن في اذنيها. ولكن في هذا الصباح شعرت ان الاشفاق على زوجها قد هزم فكرة الهرب. فلن تتركه وحيداً يحتضن حظه العاثر، ويندب ولده الذي رحل بتلك الطريقة المرعبة، فهذا وحده كاف ان يجعل كونون دائماً اسيراً لآلام مبرحة لا تطاق.
- أين انت؟
جاءت الكلمات في نغم مليء بالذعر... لكنها نغمات ناعسة كأنما صاحبها لم يستيقظ جيداً بعد. ثم اضاف:
- اين انت؟ أين ذهبت؟
عادت الى الباب بسرعة، وجدته مستيقظاً مقطب الجبين. فقالت تطمئنه:
- انا هنا، كونون.
نظرت ألانا اليه فرأت التجهم على وجهه يمضي ثم يعود وسمعته يسأل:
- ماذا كنت اقول؟
- سألتني أين انا.
مرت لمحة من السرور في عينيه ثم نظر الى ساعته وأضاف:
- حسناً. ولكنك استيقظت مبكرة.
- انه صباح مشرق جميل. واحب ان اذهب في جولة قصيرة قبل الفطور.
رددت ألانا كلمته في نفسها لأسباب غامضة، فشعرت وكأنها صرخة من الماضي. صرخة فيها استغاثة وألم. واستغربت لهذه الفكرة. فكرة

ارتباط هذه الصرخة بالماضي البعيد. لماذا لا تعود الى امور اكثر قرباً من الحاضر؟

من الممكن انه كان يحلم. او ربما كان بين اليقظة والنوم، عندما يتمتم المرء بأي كلمات. وفي هذه الحال، فكلماته ليس لها اي معنى عميق. هزت ألانا رأسها وقد نفد صبرها من نفسها، لأنها لم تصل الى سبب ثابت يوضح لها سبب صيحة كونون تلك... اين انت؟

وبقيت هذه التساؤلات تراودها ما يقرب من نصف ساعة، حيث كانت تسير على الطريق التي تؤدي الى نهاية الجزيرة.

كانت الشمس تسطع فوق سطح البحر تلونه بلون اللهب، والسماء تتألق في العلى بلونها الصافي. وقد توشحت سفوح الجبال بأثواب ذهبية وخضراء. والروابي مزيج من الألوان تغطيها البساتين والحدائق التي تستكنّ في احضانها بيوت متناثرة بيضاء.

وبعيداً في البحر يبدو العديد من الجزر تلمع تحت اشعة الشمس، ترتفع تلالها عالية حادة نحو السماء. ابتسمت ألانا اذ وجدت نفسها تستعيد احساسها الأول تجاه هذا الفردوس الوضاء حيث كانت الشمس تختفي وراء الغيوم، والجبال معلقة في اعماق الضباب. والوحشة تخيم على كل مكان.

اما الآن وقد ولت الغيوم امام شعاع الشمس وتلاشى الضباب عن الجزيرة، فإن ألانا بدأت تحب هذا المكان. وشعرت انه بامكانها ان تكون سعيدة بين حنايا هذه الجزيرة الرائعة الجمال، لو ان الظروف التي تعيشها غير هذه.

حقاً ان زوجها يبدو متوحشاً همجياً احياناً، ولكنه احياناً اخرى يبدي ملامح عاطفية لا تكون الا في قلوب المحبين. ترى هل يمكنها ان تخفي شيئاً من اشمئزازها منه؟ وفكرت فوجدت ان ذلك بعيد الاحتمال.

استمتعت ألانا بالجولة التي قامت بها، بالمناظر الخلابة، بالنسيم البارد العليل القادم من البحر. بالروائح الزكية التي تنتشر في كل مكان فائحة من الأعشاب العطرة التي تنبت بين الصخور.

كان القصر يبدو روعة في الجمال وقمة في فن العمارة، كأنه معلق على حافة صخرة عالية. اما جزيرة ليروس فقد كانت تبدو قريبة جداً خلال

ذلك الجو الصافي. والجزر الصغيرة الأخرى تكاد تلتصق وكأنها جزء من كاليمنوس نفسها، انفصلت عنها قليلاً لتستحم في المياه الدافئة على شطآنها الجميلة.

نظرت ألانا الى ساعتها، واستدارت تسرع الخطى بأكثر مما اعتادت ان تفعل، حتى لا تتأخر عن موعد الفطور. لقد سبق وتأخرت مرة عن موعد الطعام، فحدثت مشادة بينها وبين كونون. ولكن وكالمعتاد كان كونون المنتصر، وحذرها الا تعود لمثل هذا التأخير في المستقبل.

احست ألانا بكثير من الامتعاض في داخلها وهي تتخيل تصرفات كونون المتعسفة. وهي ليست من النوع الذي يرضخ بسهولة ومن غير مقاومة شديدة. ولذا خففت من سرعتها وابطأت في مشيتها، واخذت تسير على مهل سعيدة فرحة.

وصلت الى مائدة الطعام، بعد اكثر من عشر دقائق من دخول كونون الغرفة. ضاقت عيناه قليلاً، كأنه ينتظر منها اعتذاراً. ولكنها رفعت وجهها نحوه قليلاً، ثم جلست وهي تقول:

ـ ما كان عليك ان تنتظرني. الا يكون طعامك قد برد؟

جلس كونون قبالتها وقال برقة:

ـ انت تعرفين شعوري بصدد التأخر عن مواعيد الطعام. وقد حذرتك مرة انه لا يمكنني الانتظار حتى تصلي الى المائدة.

لم تقل ألانا شيئاً اكثر من انها احنت رأسها، فأضاف:

ـ هل كان تأخرك لأمر هام، ألانا؟

نظرت اليه نظرة شاملة ثم غيّرت اتجاه نظراتها. قال:

ـ ألاحظ انه كذلك، فأين اعتذارك؟

تمتم بالكلمات الأخيرة ونظره عالق بها. رفعت ذقنها بكبرياء وقالت:

ـ كنت اتمشى، مستمتعة بما ارى من مناظر خلابة، ويبدو اني ابتعدت اكثر من المعتاد. ولذا فأنا لا اشعر ان هناك ضرورة لأي اعتذار.

ـ عادة يكون ضرورياً عندما يتأخر المرء، وعندما يكون هناك من ينتظره. ان طباعك ينقصها الكثير حتى تصبح مقبولة.

قال ذلك ثم لاذ بالصمت عندما لم يسمع جواباً. نظرت ألانا اليه مستاءة من موقفه. كان يبدو عليه كأنه غاضب من نفسه لأنه لم يطور المسألة

الى ابعد من ذلك. كان في داخله صراع. ولما كانت ألانا لا تريد ان تتفاقم الأمور بينهما، غيّرت الموضوع واخذت تتحدث عن المشاهد الجميلة التي رأتها في هذا الجانب من الجزيرة خاصة. واضافت عندما لم يعلق على حديثها:

ـ انها جولة ممتعة حقاً، ألم تذهب مرة الى نهاية الجزيرة؟

ـ لقد فعلت.

اجاب باختصار، مظهراً انه ليس راغباً في الحديث. ولكنها لسبب ما لم تعرف له تفسيراً، استمرت بالكلام:

ـ ما اروع ذلك القصر، يبدو كأنه في خطر من الانزلاق عن تلك الصخرة الشاهقة الى اعماق البحر.

تحركت عيناه وضاقتا قليلاً، ثم قال:

ـ انه في امان.

كان هذا كل ما قاله. ولكن هذا لم يثنها عن الاستمرار في الحديث، وقالت:

ـ اظن ان المرأة التي تسكن هناك انكليزية الأصل.

احنى كونون رأسه وعندما تكلم كان التوتر قد بدا على وجهه:

ـ انها متزوجة من رجل يوناني.

صمت لحظة، تابع بعدها:

ـ اننا لا نكلم بعضنا مطلقاً.

لحظة اخرى من الصمت، ولكن فضول ألانا كان اكثر من رغبتها بألا تغضب زوجها، وسألته عن السبب الذي يجعلهما لا يكلمان بعضهما، واضافت:

ـ ان هذا يبدو لي غريباً، وانتما جاران.

ـ انه لا يرضى عن تصرفاتي...

ضحك كونون فجأة، ضحكة خشنة مرتفعة، وتابع:

ـ انه لمن المضحك حقاً، الا يرضى عن تصرفاتي وهو الذي يحمل على كتفيه ذلك الماضي.

ـ الماضي؟

كان كونون لا يزال ينظر اليها عبر مائدة الطعام التي تفصل

بينهما، وقال:
ـ لقد ارغم فتاة على الزواج منه.
شملته ألانا بنظرة، والسؤال باد في عينيها.
رددت كلمته تلك غير مصدقة، واضافت:
ـ هل ارغمها عن طريق التهديد مثلما فعلت؟
لم يمح سؤالها روح الدعابة، بل على العكس فقد زادها. واطلق ضحكة اخرى قصيرة، ثم قال:
ـ شيء من هذا القبيل، على ما اعتقد. لم اكن اسكن هنا في ذاك الحين، ولكن الجزيرة صغيرة وليس فيها اسرار. لقد تزوجته لتنقذ عائلتها من الدمار.
قالت ألانا بجفاء:
ـ يبدو انكم جميعاً متشابهون.
ـ لا، ليس الجميع. انت فقط تعيسة الحظ!
ـ هل تخرج الفتاة التي في القصر؟
ـ لا شك، في مثل حالتها يكون الزواج موفقاً عادة...
قطع كلامه واطلق ضحكة اخرى، ثم اضاف:
ـ يقال انهما مثاليان في تعاملهما، مجنونان في الحب!
كانت جملته الأخيرة ممزوجة بالسخرية.
ـ في الحب! هل تعني ان كل شيء سار سيراً حسناً في النهاية؟
ـ كل النساء يحببن ان يسمعن النهاية. انهما يعيشان الآن بسعادة دائمة لا مثيل لها.
بقي شيء من الدعابة في نغمات صوته، ولكنها ممزوجة بشيء من الاحتقار.
ـ انت يا ألانا، لن تكوني محظوظة الى هذا الحد. لأن دونيس لوسين كان يحب الفتاة طيلة الوقت. بينما انا اكرهك... لقد كرهتك منذ اللحظة التي رفضتني بها.
بدا على وجه ألانا شيء من الغضب والانفعال، غير انها قالت:
ـ بل منذ اليوم الذي فشلت في زواجك.
سكتت ألانا ولكن سكوتها جاء متأخراً. فقد تغير لون كونون وصار

قرمزياً، وثارت ثائرته:

- زواجي! ألم اقل لك الا تذكريه على الاطلاق... وحق السماء ايتها الفتاة لسوف اقتلك اذا ذكرته مرة اخرى! هل تفهمين؟

شحب لونها وازدادت ضربات قلبها:

- اني آسفة...

لقد ندمت على زلة لسانها. وتمنت لو انها لم تفه بتلك الكلمات على الاطلاق. تلك الكلمات التي لا تثير غضبه فقط وانما تسبب له كثيراً من الآلام، فانها تذكره بمأساته... بفقدان ولده... ورددت:

- اني آسفة حقاً، كونون.

بدا صدق شعورها في نبرات صوتها، وفي نظرات عينيها. ولكن كونون كان كمن فقد عقله، وهو ينظر اليها نظرات فارغة كالمجنون. نظرات بعيدة جداً كمن يعيش في الذكرى، يجتاز تلك المرحلة المروعة في حياته، عندما اخبروه ان ولده قد مات، وأن مسؤولية موته تقع على زوجته.

- آسفة!

تنهد من اعماقه، ووقف كأنه مدفوع ان يفعل ذلك. صفق بيده. حسبت ألانا ان الرجل قد جن فعلاً، جنوناً مليئاً بالغضب والحزن، وصاح:

- سوف اجعلك تأسفين في دقيقة واحدة، تعالي الى هنا!

وقفت على قدميها، ولكنها تقدمت مسرعة نحو النافذة.

- قلت تعالي الى هنا!

قفز نحوها وهو يتكلم. ولكن ألانا كانت اسبق منه حيث قفزت من النافذة تركض على الشرفة نحو الدرجات التي تؤدي الى الممر المرصوف. شعرها على كتفيها يتطاير في الهواء. اسرعت باتجاه الطريق الطويل. لقد ادهشها انها وصلت البوابة من غير ان يمسك بها زوجها من الخلف. وهناك التفتت التفاتة سريعة الى الوراء ولكنها لم تر لكونون اثراً.

صفقت ألانا لذلك فرحاً، وجلست على الحشائش وراء البوابة تفكر. اسرعت خفقات قلبها، واحست بآلام تجيش في صدرها. وفكرة الهروب تراود عقلها. لقد خشيت على سلامتها بين يدي رجل مجنون كهذا الذي هو زوجها. وايقنت انه في ذات يوم قد يستبد به الحزن ويشتد به الغضب

الى درجة مرعبة لا يعرف معها ما الذي يفعل.

وبعد فترة وجيزة استطاعت الوقوف، وسارت باتجاه القرية، والذعر لا يزال يسيطر عليها والتساؤ ل يلح، ترى اي حياة هي هذه؟ وتدفق الدمع من عينيها...

فهناك هوارد بيومونت يرغمها على الزواج منه بالتهديد. تهديده بأن يرسل اخاها الى السجن ان لم تفعل. والآن جاء كونون، بعد ان تحررت من زواجها الفاشل. جاء هو ايضاً يهددها، بتدمير الرجل الذي تدين له بحياتها ان هي لم تتزوج به!

كثير على امرأة ان تتحمل كل هذا. احتجاج مرير كان يغلي في صدرها ضد ما يفعل بها القدر...

استمرت الدموع تفيض من عينيها وهي تسير. ظهر من الاتجاه المعاكس رجل يركب حماراً وكلبه يعوي بجواره. تسير زوجته وراءه تتشح بالسواد. امرأة متعبة تحمل ذكريات موجعة تبدو في تجاعيد وجهها الأسمر.

حياها الرجل وردت التحية من غير ان تنظر اليه، حتى لا يرى الدموع في عينيها. والمرأة ايضاً حيتها بابتسامة، ومرا بها نحو الطريق المؤدية الى سفح التل حيث يسكنان في بيت ابيض صغير يستكن بين اشجار الزيتون والليمون.

لقد حسدتهما ألانا. انهما يعرفان الأمان. يعرفان تماماً طريقهما في الحياة... في مملكتهما الصغيرة الخاصة.

تساءلت ألانا، ترى الى اين كانت ذاهبة؟ فليس لديها مال ولا ثياب، بالاضافة الى انه اصابها تعب شديد لدرجة لم تعد تقدر على المسير. ولن تعود الى كونون فهي ليست آمنة معه. وصرخت من غير ان تشعر انها كانت تصوغ افكارها في كلمات:

- يا الهي الى اين يمكنني ان اذهب من غير مال...

خبا صوتها، وارتجفت شفتاها، فقد احست بوقع اقدام وراءها. انه كونون! انها خطواته فهي تعرف وقعها اينما كانت. عاد الذعر اليها، استدارت وقد فر اللون من وجنتيها. ولم تعد لها قدرة على التفكير، او الحركة. وسمرت مكانها كالأرنب المذعور امام الذئب، وقلبها يخفق بجنون بين جوانحها.

- هل سمعتك تتحدثين عن المال يا عزيزتي؟
كان زوجها يتمتم بهذه الكلمات، فهزت رأسها كمن لا حيلة له وقالت:
- لا... نعم...
- لماذا تريدين المال يا عزيزتي؟ وماذا ستفعلين به في مكان كهذا؟
كان يقف بجانبها طويلاً نحيفاً، ولكن علامات الغضب زالت من وجهه، وعيناه لم تعودا تشعان ببريق الجنون. ومع ذلك فان ألانا لم تستطع ان تتكلم ولا ان تتحرك، حتى تناول كونون ذراعها يساعدها، ووجدت نفسها تطيع بلا مقاومة. تم الأمر بلا كلام. يجب عليها ان تعود معه الى المنزل.
- كونون أنا لا اريد الدخول، اني افضل البقاء هنا في الحديقة.
توقف كونون، وتعبيرات غامضة بدت على وجهه الأسمر وهو يقول:
- لماذا كنت تبكين، ألانا؟
- شعرت بالتعاسة.
- من أي شيء؟
- من حياتي هنا.
- لقد كنت سعيدة جداً مع زوجك الأول، أليس كذلك؟
- ماذا تأمل ان تربح من اجابتي على هذا السؤال؟
هز كتفيه وسحب يده من ذراعيها، واجاب:
- لا شيء، فقد كنت فضولياً، هذا كل شيء.
بقيت ألانا صامتة. ولكن كونون قال وقد تغيرت نبرات صوته وبدا فيها شيء من الرقة واللطف:
- اذن انت غير سعيدة وتريدين الهرب. الى اين يا عزيزتي تريدين الذهاب؟
- لا اعرف... فقط اريد ان اذهب بعيداً عن هذه الجزيرة.
- لكنك لا تستطيعين الذهاب من غير موافقتي. واذا حاولت السفر على اية سفينة تقلع من هنا، فسوف يطلعونني قبل ان ترحلي.
- لقد عملت مسبقاً ضد رحيلي؟
- اني احبط جميع المحاولات التي يمكن ان تؤثر على حياتي.

ـ انت لست ملك الجزيرة. فالى متى يمكنك ان تمنعني من الابحار؟
ـ الى الأبد. فان السلطات المسؤولة ستعلمني حتى لو حاولت شراء بطاقة سفر. وهكذا ترين يا جميلتي ألانا، انه لا مفر لك. انت هنا سجينتي، وستكونين اكثر سعادة لو انك قبلت هذه الحياة التي اخترتها بنفسك.
ـ انت تعرف انني لم اخترها بنفسي. تعرف انك اكرهتني عليها.
ـ على اية حال انت التي اخترت. والآن وبما انك زوجتي، فمكانك هنا معي.
تناول ذراعها ثانية، وصعدا الدرجات الواسعة الى باب الفيللا الأمامي، حيث صرخت وهي تفلت من يده:
ـ دعني اذهب، لن ادخل المنزل.
انسكبت الدموع من عينيها، وكونون ينظر اليها ويهز رأسه، ثم سأل:
ـ انت خائفة مني؟
ـ أليس هذا ما تريد؟
ـ اظن ان هذا ما اريده بالضبط. هذا الخوف الحقيقي. ولكن من اي شيء تخافين؟
وفجأة تغير صوته وصار اكثر رقة، وبدا القلق في عينيه الداكنتين.
اخذت ألانا تنظر اليه بحيرة وارتباك. فقد زالت من وجهه الملامح المخيفة. وبدا امامها كأنه الرجل الذي كانت تعرفه في يوم من الأيام. الرجل الذي انجذبت اليه فعلاً ولكنها لم تتزوجه لأنها كانت قد قررت الا تتزوج على الاطلاق.
كونون عاد يسأل:
ـ من اي شيء انت خائفة، ألانا؟
كانا يقفان عند الباب على درجة رخامية بيضاء. الهدوء والسكينة يكتنفان المكان. والحديقة تلمع تحت اشعة شمس يونانية، بأزهارها من كل شكل ولون، رائحتها تعطر المكان. ووراءها تشمخ الجبال. بعض غيوم بيضاء رقيقة تزخرف زرقة السماء. النخيل يتماوج مع السرو الأهيف النحيل. ومن الجهة الأخرى اشجار الليمون والبرتقال تضيف خضرة وجمالاً الى تلك الصورة الآخاذة.

- كنت خائفة منك.

جاء الجواب متأخراً، ولكنه كان ينتظره بصبر. ينظر الى الجديد في تعابير وجهها، يحاول ان يقرأها، وكمن يحدث نفسه قال:

- خائفة...

- ألم يكن هذا متوقعاً، بعد تصرفاتك تلك؟

احنى كونون رأسه، عيناه كثيبتان، قاتمتان، فيهما كثير من الغموض. ولدهشتها استدار الى الجهة الأخرى كأنه يريد ان يخفي عواطفه. وبعد وقفة قصيرة، سار بعيداً نحو البساتين، وتركها نهبة للخوف والألم. واحست انه شعر بشيء من الندم لأنه اخافها الى درجة الرعب، الى درجة تريد معها ان تهرب منه.

اي رجل غريب غامض هو هذا! رجل حياته هدمت بسبب فشل زواجه، وفقدان ولده. وها هو الآن يحملها مسؤولية كل ذلك. ويقول في نفسه انها لو قبلت الزواج منه، لما حصلت كل هذه المآسي ولكان زواجهما ناجحاً، لأنه كان يحبها وهي معجبة به.

وتساءلت ألانا في نفسها:

- ترى لماذا نقع في مثل هذه الأخطاء الفادحة؟

كانت عيناها الكثيبتان تتبعان زوجها، حتى اختفى عن ناظريها بين الأشجار، ثم تابعت الحوار مع نفسها:

- كنت غبية بلهاء، لأنني خشيت مما حدث لسالي وماجي. ما كان يجب ان اتأثر بما وقع لهما. فلكل امرىء حياته الخاصة يرسمها كيف يشاء.

ولكن فات الأوان. كونون لم يعد الرجل الذي تستطيع ان تحبه. فهو انسان آخر غير الذي كانت تعرفه. انسان يعرف فقط كيف يكره، لأنه عرف كيف يحب في يوم من الأيام. رجل اصبح كل همه من الزواج هو الانتقام...

٦ - الانتقام حلو كما يقولون، ولكن مع الزمن يصبح المرء اقل رغبة بالحلاوة. ومع ذلك لا تصدق ان هذه البداية ممكنة. . .

مرّ أسبوعان، قضيا فيهما ساعات هادئة في الحديقة والسير على شاطىء البحر، او التسوق في بوثيا العاصمة. كونون لم يعد يتحدث بحدة مع ألانا او يتصرف معها بخشونة. كان يبدو لها ان هناك صراعاً يعتمل في داخله. ولكنه لم يحاول ان يظهر اي رغبة في علاقة صداقة بينهما. أما ألانا فقد كانت تمتعض حتى من مجرد التفكير انها قد ترحب بصداقته ان فعل، او تشعر بأن الحياة قد تكون مريحة اكثر اذا استطاعا ان يكونا رفيقين. . . من غير ان يدخل الحب الى حياتهما.

بعد ظهر يوم من الأيام، كانت تجلس في الفناء الجميل المزدان بالأزهار تقرأ في كتاب. فجاءها كونون يطلب منها ان ترافقه الى ميرتليس، وهي مدينة تقع على خليج الشاطىء الغربي من الجزيرة، حيث كان يملك

فندقاً هناك.
قبلت بشوق ادهشها، بالقدر الذي ادهشه.
- اني احب ان ارافقك.
قالت ألانا ذلك، وهي تقف في الحال وتلقي بالكتاب على الطاولة. ثم اضافت:
- هل انت على استعداد؟
احنى رأسه علامة الايجاب وقال:
- لن تحتاجي الى معطف.
- لا، ولكني اريد ان اغسل وجهي ويدي، هل تنتظرني بضع دقائق؟
- سأفعل.
قال ذلك وجلس على الكرسي الذي كانت تشغله.
هل هذه خطوة لحياة جديدة اكثر بهجة لكليهما؟ هذا ما سألت ألانا نفسها متعجبة! غسلت وجهها واخذت تسرح شعرها الذهبي وكأنه اختلس لونه من اشعة الشمس التي كانت تتسلل من النافذة. زينت خديها بقليل من الحمرة وكذلك شفتيها. وارتدت ثوباً ابيض بسيطاً انيقاً. ثم وقفت قليلاً امام المرآة، فاقتنعت بما رأت.
كانت لحظات الانتظار تلك طويلة بالنسبة الى كونون فقام عن كرسيه ووقف الى جانب حوض من الأزهار. والتفت عندما سمع وقت خطوات خلفه. كانت ألانا طبعاً. شملها بنظراته التي استقرت على وجهها. فبدت الكآبة في عينيه وتنهد من اعماقه، وقال:
- هل انت مستعدة؟
ثم غير اتجاه نظراته فترة، وقادها الى السيارة، وفي الحال كانت تنطلق بهما.
كان كونون صامتاً كئيباً، لا تسمح حاله بالحديث. ولذا فان ألانا لاذت بالصمت ايضاً. وسألت نفسها، ترى لماذا كل هذه الكآبة الآن؟ اهو نادم على ما فعل، نادم على هذا الزواج؟ هل وصل الى المرحلة التي يسأل فيها نفسه عما ربحه من كل ذلك؟ الانتقام حلو كما يقولون، ولكن مع الزمن يصبح المرء اقل رغبة بالحلاوة. ولا شك ان كونون الآن لم يعد يحس بالسعادة من جعل حياتها مريرة الى هذا الحد.

الحقيقة ان الأشياء البغيضة التي يقوم بها تبدو اسبابها مقنعة له. وهي تحس انه لن يستمر في هذا الأسلوب الهمجي في معاملتها. فها هي تصرفاته بدأت تتغير ولو قليلاً، واصبح يبدي شيئاً من اللطف في سلوكه معها. حتى أنها لم تكن تصدق ان هذه البداية للتحول ممكنة الحدوث...

ـ هل تريدني ان ادخل معك؟

سألته ألانا عندما سارا في الطريق الطويل الذي ترتفع الأشجار على جانبيه، المؤدي الى الفندق. واضافت:

ـ او اتجول في المدينة ثم اعود اليك؟

ـ يمكنك ان تأتي اذا كنت ترغبين.

ـ حسناً.

ابتسمت له راغبة ان يرد عليها بابتسامة ولكن خاب املها. فقد كان وجهه مقنعاً بقناع قاتم خال من اية تعابير.

كان الفندق من افخم الفنادق التي رأتها عينها، بالقرب من شاطىء غاية في الروعة والجمال.

سألت ألانا:

ـ هل يعود الفندق عليك بالربح الوفير؟

ـ لا شك في ذلك والا لما اقيم.

كان يستمع اليها وهما جالسان في غرفة الاستراحة المخططة باللون الأزرق والأبيض، وكانا ينتظران الشراب الذي طلبه كونون، ثم قال:

ـ الحقيقة ان دخل الفندق قليل جداً.

نظرت ألانا اليه بدهشة مستفسرة:

ـ الم تكن لديك فكرة قبل بنائه، انه من الممكن الا يكون مربحاً؟

ـ لماذا تكون لدي مثل هذه الفكرة؟

ـ لأنك رجل اعمال، ومعظم رجال الأعمال يقومون فقط بتلك المشاريع التي يعرفون انها مربحة.

ـ هل الربح هو كل ما يهم؟ هل المال هو الشيء الوحيد المهم في الحياة؟

تنهدت ألانا من الأعماق وقالت:

ـ لقد اسأت فهمي. أنا لا يهمني شخصياً ان كان مربحاً ام لا. فليس

لذلك اي فارق عندي. . .
قاطعها كونون قائلاً:
- سيكون هناك فارق عندما ارحل عن هذا العالم. فكلما جمعت مالاً اكثر ستصبحين اكثر ثروة عندما يأتي الوقت الذي ترثينني فيه.
- كونون، ما هذا الذي تقول؟ فأنا لا تهمني اموالك ولا يهمني ان ارثها.
قالت ألانا ذلك باستنكار شديد. اما هو فقد عادت ابتسامة السخرية الى شفتيه، وقال:
- هراء، لقد تزوجت الرجل الأول لهذه الغاية. . .
- كيف عرفت؟
قاطعته بحرارة، ثم اضافت:
- ليس لديك أي اساس لتبني عليه حكماً كهذا!
- انه واضح كنور الشمس.
هذا كل ما استطاع ان يجيب به. ثم جاء المستخدم بالشراب، فقال له كونون:
- شكراً، سنتناول العشاء مبكرين، في الساعة السابعة تقريباً.
- حاضر، سيد كونون.
انحنى الرجل امام كونون واخذ المنحة التي اعطاه اياها، ومضى.
كانت ألانا ترغب ان تذكر لكونون، انه كان بامكانها ان تطعن في الوصية لو كان لديها رغبة في المال. ولكنها احست بكبريائها ترفض ان تبرىء نفسها امامه. واذا كان كونون يريد ان يفكر فيها بهذه الطريقة، فليفعل. فان رأيه ليس له مثل هذه الأهمية عندها، كما اخبرته مرة.
اخذ كونون ينظر حوله وعلامات الكآبة لا زالت بادية على وجهه. وتجاوزت ألانا تجريحه لها وعادت للحديث لتنهي حالة السكوت المملة:
- ألا يمتلىء الفندق بالنزلاء ابداً؟ فان شاطئاً كهذا يجتذب السياح في كل وقت من اوقات السنة.
- لا يوجد اي سبب يمنع من ان يكون الفندق مليئاً بالنزلاء دوماً، وأنا اوافقك على ذلك. ولكن كما قلت، هذا الفندق بالذات ارباحه قليلة.
نظرت اليه باستغراب، وقالت:
- اظن انك كنت تعرف قبل ان تبنيه انه لن يكون مربحاً. أليس

كذلك؟

- توقعاتك صحيحة.

ابتسم كونون بشيء من الدعابة، بينما قطبت ألانا حاجبيها متعجبة. كانت تريد ان تعرف السبب، فسألت:

- لماذا بنيته اذن؟

- احياناً تكون هناك حاجة لفندق فخم من الدرجة الأولى، يقدم جميع انواع التسلية واسباب الرفاهية لأولئك الذين يحتاجون لأشد انواع المواساة والتسلية.

- كونون، لست واضحاً في اجابتك.

- الحقيقة انه من الممكن ان يكون لدينا بعض السياح بوجود شاطىء جميل كهذا.

واشار بيده باتجاه النافذة التي تطل على البحر بصورته الجميلة، وتابع كلامه:

- وهؤلاء الناس الذين لا يجدون ما يطلبون من اسباب الراحة والرفاهية من الدرجة الأولى، عزمت ان اقدم لهم ما يريدون.

- حتى مع انك تعرف انه ليس مربحاً؟

- انا لا اقول انه لن يكون مربحاً على الاطلاق. فمن الممكن ان يكون في المستقبل. على اية حال فهناك اناس كثيرون يفضلون الأماكن الهادئة غير المحتشدة. وهذا المكان واحد منها.

- بالتأكيد فهو كالفردوس.

- الفردوس!

ردد كلمتها بشيء من الدعابة واضاف:

- ما كنت اتوقع ان تشبهيه بالجنة، فهو اشبه بالجحيم!

- كنت اتحدث عن الجزيرة الخلابة والشاطىء الأخاذ، ولم اكن اتحدث عن حياتي.

احست ألانا ببرودة تتسلل الى اوصالها، لهذا التغير الذي بدأ يطرأ على محادثتها. خصوصاً وانهما يحاولان تخفيف حدة العداء بينهما.

وسأل كونون:

- أحياتك جحيم؟

بريق لم تتوقعه شع من عينيه. ورأت على الفور انه عاد الى حالته الأولى، يجد متعة في اي الم يستطيع ان يسببه لها. وعجبت من هذا الرجل المتلون المزاج الذي يسمح لنفسه ان يكون في كل دقيقة بلون. وبعد لحظة من التفكير قالت:

- لم اقصد ذلك بالضبط. فالحياة في الأسبوعين الماضيين كانت افضل من البداية. ويبدو اني بدأت اعتاد على اسلوبك.

- الى أي شيء تريدين ان تصلي؟

وقبل ان يترك لها مجالاً للرد، استمر في حديثه محذراً، حتى لا تكون واثقة الى هذا الحد بأن الاسبوعين الماضيين قد يرسمان صورة افضل لمستقبل حياتها.

- أنا انسان مزاجي. ويمكن ان اتحول من صورة لأخرى من غير انذار. فأنا تزوجتك فقط كي اجعلك تدفعين ثمن ما عانيت في حياتي، وسوف تدفعين. اياك ان تظني عكس ذلك.

لاذت ألانا بالصمت، وأحست انه كان يجبر نفسه على تكرار هذا الكلام، وأن الأمور ستسير على ما سارت عليه في الأسبوعين الماضيين على الأقل.

ولكنها سرعان ما ادركت خطأها. فانّ كونون صمم الا يضعف من موقفه، وعاد مرة اخرى لسلوكه الفظ ومعاملته الخشنة. غير ان ألانا كانت تحتمل ظناً منها انها سحابة ثم تنقشع لمعرفتها بمزاجه المتقلب، ولكنها في هذه المرة اخطأت في ظنها.

وفي ذات مساء، كان قد ابدى وحشية في معاملتها، فقالت له:

- كونون انت عدو نفسك، ولن ابقى معك في اية حال من الأحوال.

كان كونون يقف بجانبها يمسك بذراعها بقسوة، فحاولت ان تفلت من قبضته ولا تدري كيف استطاعت، وابتعدت عنه وقد شحب وجهها وارتجف جسمها وسرى الخوف مسرى الدم في عروقها. وتذكرت هوارد زوجها الأول، فبالرغم من حقارته لم تلق معه مثل هذا الخوف.

لم يحاول كونون ان يقترب منها، ولكنه ايضاً لم يذهب، بل قال:

- لديك كل ما تحتاجين اليه، فلماذا اذن هذا التهديد بالرحيل؟

- لدي كل ما اريد؟ الا يكفي اني فقدت حريتي؟

ـ فعلت ذلك بكامل رغبتك.
ـ لم يكن لدي خيار.
ـ ليس بالقدر الذي كان لديك في المرة الأولى على ما اظن. كنت حينئذ تتمتعين بحرية الاختيار... واخترت الرجل الذي يملك مالاً اكثر. ورفضتني، لأني كنت فقط وريث والدي. ولن اصبح غنياً طالما هو على قيد الحياة.
وفجأة ضحك تلك الضحكة الهمجية، والتي سمعتها مرات عديدة من قبل. ثم توقف عن الضحك وتابع كلامه:
ـ لم تعرفي في ذلك الحين ان الأمور قد تنعكس كما حصل. ولو انك تزوجت مني لكنت في حالة مادية افضل بكثير.
نظرت اليه في صمت خشية على سلامتها. كان الشر يطل من عينيه القاتمتين، ووجهه الداكن المتجعد، وشكله الضخم في ثيابه السوداء.
ـ تعالي الى هنا.
قال ذلك وهو ينظر اليها نظرات مخيفة، فهزت رأسها وحاولت ان تتجاوزه الى الباب، ولكنه امسك بها بعنف، وهو يصرخ في وجهها:
ـ تذكري انني زوجك يا ألانا، وعليك ان تطيعيني.
فتحت ألانا عينيها، وكان الفجر قد بزغ من وراء الأفق يداعبه بلمسات لطيفة، وكان بدء يوم جديد. سرت رجفة في جوانبها وهي تنظر الى الوجه الداكن الغارق في النوم الى جانبها. وانسلت بهدوء تقصد الحمام لتغسل وجهها وهي تحدث نفسها، ان كونون لا يمكنه ان يبقيها هكذا اسيرة. فلماذا لا تذهب الى الشرطة وتخبرهم بمخاوفها؟ وهم لا شك سيعالجون الأمر. علهم يدبرون امر سفرها. فهي انكليزية ومن واجبهم مساعدتها. وشعرت انها تستطيع ان تهجر كونون من غير اي احساس بالذنب. فهذا ما يستحقه.
بعد تناول الفطور، خرج كونون من المنزل. انها فرصتها للرحيل، وهكذا فقد خرجت هي ايضاً، تسير على الطريق التي سبق وسارت فيها مع كونون بعد مراسيم زواجهما في مدينة كاليمنوس. كانت الطريق طويلة والمسافة بعيدة حتى الى اقرب قرية. ولكنها سارت بسرعة وهي تمني النفس بحل مشكلتها. ولو أنها كانت تتمنى لو ان الظروف غير هذه الظروف،

حتى تستطيع ان تستمتع بتلك المشاهد التي لم تر اجمل منها، وذاك النسيم الذي لم يعبث بشعرها ارق منه.

وصلت ألانا الى القرية. واوقفت شاباً ماراً وسألته عن سيارة اجرة. ولكن الشاب رفع كتفيه، قائلاً:

ـ لا يوجد هنا سيارات اجرة، فتلك السيارات موجودة فقط في المدينة!

افترت شفتاه عن ابتسامة مرحة فبدت اسنانه بيضاء كاللؤلؤ، وعيناه البنيتان كانتا تشعان بالمرح، وصوته لطيفاً مليئاً بالود.

واضاف الشاب قائلاً:

ـ لكن اخي لديه سيارة، وهو لا شك سيصطحبك اذا اردت.

نظرت ألانا اليه بامتنان واجابت:

ـ هل يفعل؟ يجب ان اصل الى الميناء. اعتقد ان هناك قارباً سيقلع في غضون ساعتين.

ـ تماماً، تعالي معي. فأنت في عطلة على ما اظن، جئت لزيارة جزيرتنا.

ولما سارت الى جانبه، اضاف:

ـ اظن انك احببت جزيرتنا، اليس كذلك؟

ـ بالتأكيد.

ابتسم لها وقال:

ـ الآن عدت من سفينتي. فأنا غواص اجمع الاسفنج.

ـ أأنت غواص اسفنج؟

لقد سمعت ألانا من قبل عن غواصي الاسفنج في مدينة كاليمنوس. رجال يخاطرون بأرواحهم وهم يغوصون في اعماق البحار، يبحثون عن الاسفنج الذي ينمو على الصخور.

وبعد تريّث قليل تابعت:

ـ لقد سمعت انها مهمة خطرة جداً.

ـ نعم انها خطرة. ولكني احب ان اغوص في اعماق المياه السحيقة، واشاهد المخلوقات الصغيرة التي تعيش هناك.

توقف قليلاً، ثم نظر اليها وقال يعرفها بنفسه:

ـ اسمي اندونيس، وانت ما اسمك؟

ـ ألانا.

ـ ألانا؟ لقد التقيت بفتيات انكليزيات كثيرات، عندما كنت اعمل في فندق في رودس. انت تعرفين رودس أليس كذلك؟
ـ نعم لقد نزلنا من الباخرة هناك. ثم جئنا الى هنا بالقارب.
ـ في رودس كما قلت، التقيت بفتيات انكليزيات كثيرات ولكني لم اسمع باسم ألانا.
ـ ليس الاسم شائعاً.
سارا في طريق ترتفع الاشجار على جانبيها، تبدو ازهارها الجميلة وكأنها سرقت لونها الأصفر الذهبي من الشمس. والبيوت البيضاء تظهر من وراءها تحيط بها الجنائن المفروشة بالأزهار يعطر أريجها الأجواء. ويحيط بهذه الحدائق سياج كثيف من اشجار الصبار الضخمة.
ـ هذا بيت اخي.
أشار اندونيس بيده الى البيت ثم فتح البوابة العريضة المصنوعة من الخشب المزخرف. دخل ونادى بصوت عال حاد بجمل قصيرة، وكل ما استطاعت ان تفهمه ألانا كان اسمي ستيلا، وبيتروس. اما بقية الكلام فكان باليونانية.
ظهرت فتاة يضارع سحر عينيها اعين الظباء، خجولة لا تفارق البسمة ثغرها. قدمها على انها اخته. ثم اخذ يتكلم باللغة اليونانية.
ـ اخوك ليس هنا، أليس كذلك؟
لم تكن بحاجة لتسأل هذا السؤال. فقد عرفت ذلك من الملاحظة. ومع ذلك فقد اخبرها اندونيس انه ذهب بسيارته قبل دقائق معدودة. وغاص قلبها بين جنبيها وبدا الارتباك على وجهها، وحارت فيما تفعل. ولما قالت انها ستسير الى القرية الثانية، اعلمها انها لن تجد طلبها هناك ايضاً. فزادت حيرتها، وخشيت مغبة ما فعلت، حيث ستضطر الى العودة الى بيت كونون، لتتعرض لألف سؤال وسؤال.
ثم اقترح اندونيس عليها، قائلاً:
ـ نتناول بعض المرطبات، ثم نفكر بطريقة ما توصلك الى الميناء.
هزت كتفيها وهي تنظر الى ستيلا، التي كانت تقف خجلة جانباً تتطلع الى ألانا من الرأس حتى القدم.
ـ لا اظن اني استطيع الآن.

- ولكن يجب ان تفعلي، اختي تريد ان تقدم لك شراباً صنعته من الرمان.
- شكراً لكما ولكن. . .
قاطعها قائلاً:
- لا يمكن ان ترفضي ضيافتنا. لم يفعل هذا احد من قبل.
- حسناً.
كانت الانا تتبع بنظراتها الفتاة التي تحركت نحو الباب المفتوح وهي تومىء لها.
فقال اندونيس:
- انها لا تتكلم الانكليزية. فعندنا الصبيان فقط هم الذين يتعلمون.
- ولماذا لا تتعلم الفتيات لغتنا ايضاً؟
- لأنهن لا يحتجن الى ذلك. فالرجال يحتاجون اللغة في اعمالهم، وخصوصاً ان الكثيرين منهم يذهبون الى استراليا. اما النساء فلا يعملن الا في بيوتهن وتربية اطفالهن.
دخلا غرفة نظيفة مرتبة، علقت على جدرانها بعض الصور. ولفتت نظرها قطة بيضاء جميلة ناعمة تجلس على كرسي، وفوق الموقد كناري في قفص يغني ملء صوته اغنية عذبة.
فجأة قال اندونيس:
- آه، ها هو ابن خالي! فهو يملك سيارة ايضاً. سوف اسأله اذا كان بامكانه ان يوصلك الى كاليمنوس.
وقفت السيارة خارج المنزل وقد ملأت الجو غباراً. قفز منها شاب عمره في مثل عمر اندونيس.
خرج اندونيس من الغرفة ليكلم ابن خاله في امر الانا. اما ستيلا فقد احضرت كأساً من شراب الرمان على صينية خشبية مزخرفة، وقدمتها لالانا وهي تخفض عينيها حياء، من غير ان تفارق الابتسامة شفتيها.
تناولت الكأس وهي تشكرها، ثم رشفت منها قليلاً وقالت:
- انه لذيذ جداً، لقد احببته يا ستيلا.
هزت الفتاة كتفيها واختفت ومعها الصينية الفارغة. .
- اظن انك لست زائرة!

قال اندونيس فور رجوعه الى الغرفة حيث كانت تجلس ألانا. وتابع:
- ابن خالي يعمل في احد مكاتب ميناء كاليمنوس، وقال انك زوجة السيد كونون، الذي يسكن في ذاك البيت الكبير.
واشار بيده الى التل حيث الفيللا الفخمة التي غادرتها منذ وقت غير قصير. ثم اضاف:
- لقد قال ان السيد كونون لا يسمح لك بمغادرة الجزيرة. وسنقع كلانا في مشاكل مع السيد كونون اذا نحن ساعدناك على مغادرة الجزيرة، علماً انك لو وصلت الى الميناء فلن يسمح لك بشراء بطاقة.
شحب لون ألانا وقالت وفي صوتها شيء من الغضب:
- انا انكليزية، واريد ان اغادر الجزيرة. وما دمت اريد ان اغادرها فسوف افعل.
كان صوتها مرتفعاً، حتى ان ستيلا جاءت تركض من الغرفة الأخرى وفي عينيها الجميلتين نظرات الاستفهام. فشرح لها اخوها الموقف. فاتسعت حدقتاها استغراباً. واستنتجت ألانا ان اليونانيات لا يمكن ان يتركن ازواجهن ولا تحت اي ظرف من الظروف.
واخيراً قال اندونيس:
- اظن انه من واجبك ان تعودي الى منزلك، ولكن اكملي شرابك اولاً.
زاد غضب ألانا. ايقال لها مثل هذا الكلام من مجرد صبي كهذا!
وارادت ان تترك كأسها في الحال، ولكنها عندما نظرت الى ستيلا، وجدت نفسها غير قادرة حتى في هذا الظرف على ازعاج تلك الفتاة. جرعت الشراب بسرعة، ثم وقفت، وودعت ستيلا، متجاهلة الشابين الواقفين عند الباب. فأفسحا لها الطريق لتمر.
بلغ الغضب بها مبلغاً لا يوصف وهي تعود الى البيت. وعندما دخلت الحديقة زاد سخطها وهي تحس انها لعبة في يد كونون.
كان جالساً على كرسي كبير، وفي يده كتاب. نظر اليها عندما وصلت، لعله كان يريد ان يبتسم لها. ولكنها لم تلتفت نحوه، فقال بصوت هادىء:
- مرحباً، ما بك؟ اين كنت؟
- كنت احاول ان اخرج من هذه الجزيرة!
شملها بنظراته قبل ان تستقر على وجهها المتورد. ثم قال:

ـ حقاً؟ وعرفت اخيراً انك لن تنجحي. اجلسي واخبريني عما فعلت. بمن التقيت؟

اسلوبه زادها غيظاً، ولكنها اجابت:

ـ اندونيس، لا اعرف كنيته. كان عنده الجرأة ليقول لي ارجعي الى زوجك. من تراه يظن نفسه؟

قال لها والهدوء لا يفارق صوته:

ـ انه ابن احد الموظفين عندي. يجرؤ ان يعيدك الى البيت اكثر مما يجرؤ ان يساعدك على الخروج من الجزيرة. اظن انك اردت مساعدة اخيه، لأنه يملك سيارة.

ـ لكنه لم يكن موجوداً، ثم جاء ابن خاله...

توقفت لحظة عن الكلام وهي ترى امارات السخرية تبدو على شفتي كونون، ولكنها تابعت:

ـ يجب ان اذهب. ولن ابقى زوجة لك.

ـ لقد اعلمتك، انه لا يمكن ان تغادري الجزيرة دون موافقتي. على اية حال، فهناك من حين لآخر بعض اليخوت تعبر الخليج واصحابها من الانكليز. واذا حدث وتدبرت امر رحيلك فاعلمي ان سلامة صديقك ماكس ستهدد ثانية.

ـ اذن انا سجينة؟ سجينتك؟

ـ لك مطلق الحرية ان تسمي نفسك ما شئت. اما ما اعرفه انا، فهو انك زوجتي، ومكانك هنا معي.

وضع الكتاب جانباً، ووقف قبالتها. الجبال ترتفع وراءه، والشمس في كبد السماء تلقي ببعض شعاعها على وجهه، فبدا قاتماً. والخطوط في وجهه عميقة. واللهيب يشع من عينيه.

تراجعت ألانا الى الوراء، وهي ترتجف وقلبها يضرب بشدة، وقبل ان تستطيع الفرار كان قد اطبق على ذراعها.

ـ دعني اذهب. انك تؤلمني.

صرخت والرعب يملأ قلبها ويطل من عينيها. فقد تمثلت امامها صورة كونون وهو يحاول ان يخنق زوجته الأولى.

ـ سوف اقتلك، اذا صرخت مرة ثانية! انا زوجك، تذكري ذلك...

ولم يتمالك نفسه، فقد زاد في الضغط على ذراعها ثم امسكها من كتفيها. واخذ يهزها هزاً عنيفاً، حتى كادت تفقد وعيها. واستمر في ترداد كلماته:

- سوف اقتلك، هل تسمعين؟

- تقتلني...

خرجت الكلمة من شفتيها اللتين فرت منهما الدماء حتى غدتا كشفاه الموتى. ثم اضافت ببطء كلمات خرجت متقطعة من الخوف:

- نعم... اني اعتقد ذلك...

ربما نبرات صوتها المرتجفة، او ربما امارات الرعب في عينيها احدثت تغييراً في سلوكه. فاختفى العنف، وقربها منه بلطف. لامس شعرها الناعم الجميل، ولكن ألانا بقيت ترتجف.

تراجع كونون الى الوراء، ونظر اليها بكآبة وحزن شديدين. حاولت ان تقرأ تعابير وجهه، علها تعرف شيئاً مما يدور في داخل عقل زوجها الغامض. ولكنها استسلمت، ولم تقدر ان تقرأ شيئاً. على اية حال فكل ما كان ماثلاً في مخيلتها هو تهديده لها بالقتل. هذا التهديد الذي يلازمها، والذي ستبقى خائفة منه مدى الحياة.

بقي كونون ينظر اليها بهدوء، حتى انه كان من الصعب عليها ان تسترجع الحوادث التي مرت بها خلال تلك الدقائق القليلة الفائتة التي مرت بها كالحلم الرهيب.

عيناه كانتا صافيتين، وكأن بريق الشر لم يمر بهما على الاطلاق. والصورة التي تراها الآن، هي وجه كونون الذي عرفته في يوم من الأيام... لطيفاً رقيقاً، لا اثر لخطوط الهم والقلق في وجهه. واستعادت في مخيلتها الحنان الذي كان يطل من عينيه، والرقة التي كانت تذوب فيها كلماته. وتساءلت، ترى كيف يمكن ان تكون حاله الآن لو انها تزوجت منه في ذاك الحين؟ هل كان سيبقى ذاك الرجل الجميل الوسيم، ذا الابتسامة الجذابة والطباع الرقيقة اللطيفة، تلك الصفات التي يمتلكها الرجال اليونانيون؟

نظرت اليه ودهشت من الهدوء الذي سرى بطيئاً بين جوانحها، ليحل محل الرعب السابق.

لم يكن لديها شك في ان قوة زوجها متعددة الجوانب تماماً مثل طباعه،

حتى انه عندما تكلم، شعرت ان قلبها قد عاد الى ضرباته العادية.
- لقد قلت انك لا تبالين برأيي فيك، ألانا. وانا اجد هذا غريباً. فمعظم الناس يهمهم رأي الآخرين!
- ولكن رأيك انت بالذات لا يهمني، طالما انك تحتقرني.
بقي محتفظاً باتزانه، وقال:
- الا ترغبين في ان تنالي احترامي؟
- عندما لا يكون هناك حب، يمكن ايضاً الا يكون هناك احترام. فأنا لن احترمك ابداً، ولا اعتقد انك ستفعل. ولا اي منا يبالي برأي الآخر. ولا شك انك مقتنع بهذا.
- انت متغطرسة جداً. وانا لا اعهدك كذلك. فأنا اذكرك كما كنت... كان لجمالك عمق، كنت اتمنى ان اصل اليه...
كان صوته اشبه بالهمس، وكأنه رحل بعيداً في خياله. وبدا لألانا ان السبب الذي تزوج منها لأجله قد تسلل من ذاكرته ومضى. ولم يعد في ذهنه محل للانتقام.
وبعد لحظات من الشرود عاد الزوج يقول:
- في ذلك الحين كنت اريد ان اصل الى اعماق جمالك النفسي، وانا اعلم ان الطريق امامي طويلة.
نظر اليها وقد عادت السخرية الى شفتيه:
- اين ذاك الجمال الآن يا ألانا؟
وعلى الرغم منها احنت رأسها. تشعر كالطفل امامه. وتعجب لهذا التغير الذي طرأ عليه، مع ان شيئاً من الغموض بقي يكتنفه، مما جعلها تسأل:
- لماذا تزوجتني، كونون؟
وما ان لفظت هذه الكلمات حتى ندمت على ذلك. فقد توارى وجهه على الفور خلف قناع بارد غامض، وضاقت عيناه بصورة غريبة، ثم قال:
- ما الذي جعلك تسأليني مثل هذا السؤال؟
ولدهشتها كانت نغمة صوته تختلف عن الملامح التي رأتها في وجهه، فقد كانت تلك النغمة رقيقة ناعمة ممزوجة بشيء من المزاح. عجيب كم هو متقلب هذا الرجل! وسمعته يتابع:

ـ اعتقد انني اخبرتك السبب. هل اصبحت تشكين بكلامي؟

احمر وجهها عند هذا السؤ ال المفاجيء الذي لم تتوقعه. وبصعوبة كانت تحاول ان تخرج الكلمات من بين شفتيها، خشية ان يعود لسابق قسوته، ولكنها مع ذلك قالت اخيراً:

ـ لقد قلت انك تزوجتني من اجل الانتقام.

ـ هذه هي الحقيقة.

ـ ما هي الحقيقة يا كونون؟

قلب شفته وهو ينظر اليها، وفي لمحة رأت فيه الرجل الذي تعرفه، بمظهره وقلبه. الرجل الذي كان سعيداً يفيض حيوية، ولكنه مع ذلك ذوى مع الزمن.

سرت عاطفة غريبة في صدرها لم تدم طويلاً. واصغت الى كونون الذي كان يقول بشيء من الفكاهة:

ـ اخبريني، اي سبب آخر يمكن ان يكون لدي يدفعني الى الزواج منك؟

ـ انت تعني اي سبب آخر غير الانتقام؟

رأت وكأن لون عينيه قد تغير، وصار اكثر سواداً. كانت ألانا تراقبه حائرة، ولاحظت ان كلمة انتقام تعيد اليه ذكريات العذاب الذي عاناه خلال السنين الماضية، ذاك العذاب الذي التهمه، وشوه وجهه بخطوط عميقة من الشر.

ـ نعم اني اعني ذلك.

انكمشت ألانا على نفسها وتراجعت الى الوراء، وكانت تكاد تقع على الأرض لو لم تصلها ذراع زوجها.

ـ لا اظن ان لديك سبباً آخر.

تأوه كونون، ودفعها عنه، ثم قال:

ـ انت على حق. نعم تزوجتك من اجل الانتقام. ولا تخطر ببالك اية فكرة اخرى مطلقاً. هل تسمعينني؟

ـ نعم بالتأكيد، اني اسمعك.

٧ - انها غلطتها، غلطتها وحدها فهي التي رفضت الحب يوم قدم اليها. وها هي تشتاق الى الحب وتندم على ما فات. . .

في اللحظة التالية كان يبتعد عنها عبر المرج الأخضر، وعيناها تتبعانه حتى غاب عن نظرها. ثم وقفت في مكانه، وهي تسمع ضربات قلبها.

واخذت ألانا تتساءل بينها وبين نفسها، الى متى يمكنها ان تتحمل هذه الحياة؟ تذكرت ما عانته في زواجها الأول. وها هو العذاب يتكرر مرة اخرى. فزواجها من كونون هو الجحيم بعينه، ظلام دامس لا سبيل للنور اليه ولا وسيلة للخروج منه.

غريبة هي اطوار هذا الرجل التي جعلت ألانا تعيش في دوامة، حائرة في امره وامرها. لا تكاد تتأكد ان الانتقام هو السبب في زواجه منها، حتى تشك في ذلك، ثم تعود وتتأكد، وتشكك وهكذا. ولكنها في قرارة نفسها كانت تحس ان هناك سبباً اعمق. . .

القت ألانا كتفيها الى الخلف، تحاول ان تهدىء من نفسها، فتخفف من شدة خفقان قلبها. ثم هزت رأسها تكتنفها الحيرة. وتساءلت لماذا تناقش زوجها في الحقائق التي يطرحها؟ فليس من عادته ان يقول شيئاً وهو يعني غيره... ومع ذلك...

أخذت ألانا تقلب صفحات حياتهما معاً. ووجدت نفسها تواجه بداية الحقيقة التي لم تكتشفها بعد.

فالحقيقة ان ما يحدث مخيف جداً ولكنه لم يترك جروحاً عميقة في نفسها. لسانه حاد وقاس، ولكنهما في كثير من الأحيان كانا يتحادثان بلطف، ويكون عند ذلك هادئاً ونغمات صوته عميقة جذابة. فالحياة اذن لم تكن كلها جحيماً. وعندما استرجعت الأسابيع القليلة الماضية، لم تتمكن ان تتجاوز هذه الفكرة التي ساورتها...

احست ان كونون يرحب بعلاقة اكثر توافقاً بينهما. ومشاعر الاشفاق لا زالت قوية في صدرها مع انها تخفيها، تخفيها لأنها لا تستطيع ان تنسى في لحظة من اللحظات انها ارغمت على هذا الزواج. ولا يمكنها ان تسامحه على ذلك، حتى تستطيع ان تكون طبيعية معه. ولكن من يدري؟ ربما مع الأيام...

استرعت نظرها حركة، فلمحت زوجها في نافذة غرفة نومه. سرى الدم بطيئاً في عروقها واعترتها رعشة باردة. هبت واقفة والرغبة في الرحيل بلغت حداً لا يقاوم، حتى ان مشيتها كانت اقرب الى الجري، وهي تسير في الممر الذي يؤدي من الحديقة الى الطريق. ازدادت دقات قلبها ثانية وهي تسرع لتترك مسافة بعيدة بينها وبين زوجها الذي تخشاه.

اشفقت على نفسها، وهي تسير الى حيث لا تدري وتتساءل، لماذا يحتم عليها ان تعيش في هذا القلق والخوف والاضطراب؟ لم تعد تتمالك نفسها واجهشت في البكاء.

الممر كان ضيقاً ترابياً شديد الانحدار، يؤدي الى طريق اعرض منه تمتد لتصل الى الساحل البعيد في نهاية الجزيرة حيث تمتد سلاسل من الجبال وشاطىء صخري مهجور.

ولما وصلت ألانا الى هذه الطريق تريثت قليلاً واخذت نفساً عميقاً، ثم تابعت المسير من غير هدف. وان كانت تبغي الوصول الى آخر الجزيرة،

عليها اولاً ان تمر بالقصر الرائع الذي لفت نظرها سابقاً، والذي يقوم على حافة صخرة شاهقة، يبدو كأنه يتحفز للوثوب الى المياه العميقة الزرقاء التي تمتد في الأسفل.

سارت ألانا وسارت حتى ادركها شيء من التعب، فجلست على حافة الطريق تستريح، وتنظر الى الصخور التي تتداخل في البحر الساكن القاتم وقد حجبت بعض الغيوم العابرة اشعة الشمس عنه.

رأت هناك يختاً يتأرجح على صفحة الماء، وحسبت انه يخص اولئك الذين يسكنون في القصر. واتجهت بافكارها الى الفتاة الانكليزية التي تعيش هناك، متسائلة عن حياتها وكيف يمكن ان تكون؟ علماً ان كونون قال انها سعيدة، فهي وزوجها متحابان.

وعادت دموع ألانا تنزل على خديها بغزارة. انها تندب سوء حظها، فلماذا لا تكون هي سعيدة ايضاً؟ مر في خاطرها هذا السؤال واكثر من سؤال. تركت لأحزانها العنان. لتبكي ما شاء لها البكاء، فليس لها من تشكو اليه ليواسيها ويخفف عنها...

حتى في هذه اللحظات لم تنس نفسها وان البكاء يجب الا يسرق شيئاً من جمالها، فمسحت دموعها متلفتة بالرغم من انها تعرف ان لا احد حولها. واطمأنت فلا يمكن ان يراها احد في هذه الحال، على هذا الشاطىء الصخري المهجور.

عادت الانا تفكر بالفتاة الانكليزية الاخرى. وكلما اطالت التفكير فيها كلما ازدادت رغبة في لقائها والاستماع الى نبرات مألوفة لديها. صوت امرأة من بلادها...

واخذت تتساءل في نفسها عن عمر تلك الفتاة زوجة الرجل اليوناني الذي فعل مثل كونون، وتزوج منها عنوة. ترى كم من السنوات وهي تعيش في هذا القصر الجميل، الذي بني على اروع وجه من غير حساب للتكاليف؟

وقفت الانا ثانية واتجهت في سيرها نحو القصر، وهي تفكر بأسلوب يمكنها ان تعرف به على نفسها. ولما لم تجد وسيلة، وقفت بجانب الباب الحديدي المزخرف الواسع. ونظرت من خلاله الى ذلك المكان الساحر.

اشجار كثيفة ضخمة تحجب الرياح الشديدة التي قد تأتي من البحر.

مروج مخملية خضراء تمتد بشجيرات غريبة الشكل، وحدائق فسيحة من الورود، بينما تلمع في البعيد مياه زبرجدية اللون في مسبح واسع. تماثيل من الرخام هنا وهناك لفتيات يونانيات من عصور سابقة، نافورة عالية اقيمت على نقطة مناسبة بحيث ترى من نوافذ القصر.

اية عظمة تبدو في هذا المكان المنعزل، فمن جهة ترتفع الجبال وقد امتزجت بلون سماء اليونان الأزرق الصافي، والى الاخرى يمتد البحر الى مسافات بعيدة لا نهاية لها، تزخرف سطحه الجزر الصغيرة، بعضها صخري قاحل، والبعض مزين بسلسلة من الألوان الخضراء.

جزيرة ليروس اكبر بكثير من غيرها تستلقي قريباً من شاطىء تركيا. يفصلها عن كاليمنوس مضيق ضيق، وتضيق المسافة بينهما اكثر في بعض النقاط حتى انه يمكن للمرء ان يقطعه سباحة. وعلى سفوح التلال تبدو البيوت البيضاء لامعة تحت اشعة الشمس التي تخترق الغيوم البيضاء المتناثرة.

ـ سانتا هيلانه!

تمتمت ألانا وهي تقرأ الاسم المحفور على قطعة خشب صغيرة، مثبتة على جذع شجرة الى جانب البوابة.

لم تكن هناك معالم للحياة داخل البوابة. وبتنهيدة عميقة تدل على الأسف، تابعت طريقها الى الشاطىء، حيث دخلت المنطقة المهجورة الصخرية.

فجأة القت ألانا نظرة دهشة وعجب، وكأنها لا تصدق ما ترى. فقد انتصب امامها تمثال برونزي من تماثيل الأساطير القديمة يتوهج تحت اشعة الشمس. كان تمثالاً لامرأة وحيدة تحمل قيثارة، اقيم على قاعدة صخرية. كانت المرأة كئيبة حزينة، ولكنها ساحرة خلابة. واستغربت ألانا من الانسان الذي يصنع مثل هذا التمثال، غاية في الاتقان والجمال، ثم يضعه في هذا المكان المهجور بعيداً عن اعين الناس!

نظرت الى ساعتها، وعرفت انه قد مضى وقت طويل منذ غادرت اراضي زوجها، فاستدارت على مضض، واخذت تسير على مهل. فقد كان التفكير بدخول ممتلكاته امراً مزعجاً. لم تشعر مطلقاً انها في بيتها ولم

يفرحها الاحساس بأنها شريكة المالك.

عادت الدموع تفيض غزيرة من عينيها. واخذت تبطىء بأكثر ما تستطيع غير عابئة بالجوع الذي تحس به، ولا بفمها الذي جف من شدة العطش.

لا شك ان وقت الغداء قد مضى منذ وقت طويل، ولا شك ايضاً ان كونون يبحث عنها، وهو يعجب من انها بالرغم من تحذيره تخرج كما تريد وتتأخر كيفما تريد.

بعد قليل وجدت نفسها مرة اخرى امام بوابة القصر. وفوجئت بكلب كبير يقفز من فوق السياج إلى الطريق مما جعلها تصرخ، وجعل الكلب يقف جامداً في مكانه، رافعاً اذنيه، لاوياً رأسه، وكأنه يتساءل لماذا خافت منه. او لماذا يخاف اي انسان آخر منه. ولكنه عاد يعوي بعد لحظات قليلة بينما سمعت صوت رجل يقول بلهجة الأمر:

- جاسون، تعال هنا.

وعلى التو استدار الكلب ودخل من البوابة التي كان صاحبه قد فتحها من قبل.

وتابع الصوت:

- اني آسف، لا تخافي، فهو لا يؤذي احداً مطلقاً.

توقف لحظة عن الكلام ونظرت ألانا لترى امامها رجلاً يونانياً وسيماً طويلاً، يبدو شيء من التجهم على وجهه. ثم اضاف:

- اني آسف مرة اخرى، لا شك انه ازعجك.

وزاد تجهمه وهو يرى دموع ألانا لا تزال كحبات الندى على خديها، وقال:

- ادخلي واستريحي بضع دقائق.

صوته كان عميقاً تشبه نبراته صوت زوجها، تحمل في طياتها شيئاً من الغضب، ثم التفت الى الكلب يخاطبه:

- جاسون، طباعك اليوم على غير عادتك. اني اخشى ان تكون سيدتك قد افسدتك.

ارخى الكلب ذنبه، في اللحظة التي قدمت فيها فتاة شابة جميلة، فانحنى فرحاً واتجه نحوها مسرعاً.

ـ ماذا هناك؟
توقفت قبل ان تكمل، وهي تنقل النظر من ألانا الى زوجها. ثم تابعت السؤال:
ـ هل انت مريضة؟
ـ جاسون ارعبها.
ولكن ألانا قاطعته، وقالت:
ـ لم يفعل شيئاً، فأرجو الا تلوماه، فقد كان غباء مني ان اخاف الى هذا الحد.
اتجه الكلب نحوها، وبحركة آلية وضعت يدها على شعره الناعم وربتت على رأسه، ثم اضافت:
ـ انه جميل جداً وذكي، فلا توبخاه.
جاسون حرك ذنبه، واخذ يتنقل بين سيده وألانا ثم استقر عندها كأنه فهم ما قالته.
دعاها الرجل ثانية وقبلت ألانا الدعوة، ووجدت نفسها داخل البوابة. لاحظت نظرات غريبة يتبادلها الزوج مع المرأة الشابة، بعدما قدم نفسه معرفا... دونيس لومين وزوجته جوليا. فقالت ألانا:
ـ انا زوجة كونون. لقد جئت مؤخراً لأعيش على هذه الجزيرة.
ـ زوجة السيد كونون مافيليس!
رددت جوليا، وهزت رأسها باستغراب. مع انها ايقنت انه لا بد وان تكون كما قالت. فالسواح لا يمكن ان يأتوا الى هذا الشاطىء البعيد المهجور.
وبعد هنيهة صمت، تابعت جوليا:
ـ نحن لا نعرف زوجك جيداً.
كان صوتها بارداً. اما زوجها فقد كان فمه مطبقاً وجبينه مقطباً. لقد لاحظت ألانا بعض تعابير غامضة تمر على وجهه مما اكد لها انه لا يحب زوجها. وغريب الا يكون وفاق بين الرجلين، لما رأته من الشبه بينهما في كثير من الأمور. فكلاهما تبدو فيه جلية روح السلطة والسيطرة. ونفس طابع الارستقراطية الموروث عن الأجداد اليونانيين. نعم كانا متشابهين كثيراً ومن العجيب الا يكونا صديقين.

احست ألانا بالقلق يساورها لهذا الصمت الذي ساد بينهم. ولما لم يكن لديها اية فكرة عن اية اسباب يمكن ان تكون هناك لعدم نشوء صداقة بين زوجها وبينهما، قالت:

- في الواقع انه منطو على نفسه.

تجاهل دونيس ذلك وطلب من زوجته ان تذهب مع ألانا الى الداخل وتقدم لها بعض المرطبات.

- آه، لا، شكراً.

تمنعت ألانا، غير مرتاحة لبرود الزوجة. واضافت:

- لا اريد ازعاجكما.

صدر صوتها غريباً عنها لا تكاد تعرفه. وكأنها لاحظت شيئاً ما يبدو في عيني جوليا اللتين اظلمتا بشيء من الاشفاق.

لكن جوليا هزت رأسها قائلة:

- لا، ليس هناك اي ازعاج. تفضلي بالدخول. انا متأكدة انك بحاجة الى شيء تشربينه.

- في الواقع انني عطشى.

قالت ألانا ذلك وهي تفكر بالمسافة التي لا تزال تفصلها عن بيتها ثم تابعت:

- شكراً لكما، نعم، ارحب بكأس من الشراب البارد.

ابتسمت جوليا ابتسامة عذبة، احست ألانا معها كأنها لم تر فتاة بهذه الجاذبية من قبل.

دونيس كان ينظر الى زوجته وعيناه تنطقان بأرق العواطف، الشيء الذي بقيت ألانا تذكره لمدة طويلة. وايقنت انه لا يمكن لأي رجل ان يحبها كما يحب دونيس زوجته. فأحست بالاكتئاب يغمرها. انها غلطتها، غلطتها وحدها، فهي التي رفضت الحب يوم قدم اليها. وهي التي صممت ان تبقى وحيدة طيلة ايام حياتها. وعلى العكس من ذلك فانها فقدت الحب، ولكنها تزوجت بدل المرة مرتين...

اعتراها شعور بالشوق الى الحب والندم على ما فات. كم هو جميل ومبهج ان تكون هي ايضاً محبوبة مثل جوليا. تلك الفتاة التي تراها امامها الآن تبتسم في وجه زوجها والحب يشع من عينيها الزرقاوين. وهو بدوره

يتطلع اليها وقد ملأت عينيه السوداوين عاطفة، لا يمكن لألانا ان تصفها بأقل من الحب.

دونيس طلب من الخادمة ان تحضر بعض الشطائر لألانا. ثم التفت اليها قائلاً:

ـ اذهبي مع زوجتي، وارتاحي قليلاً.

كانت عيناه ثاقبتين، فقد ادرك انها لم تأكل منذ ساعات طويلة.

ـ شكراً لك.

وفي لحظات كانت ألانا تدخل القصر من ساحة واسعة الى حديقة مليئة بالزهور. ثم عبرت مرجاً اخضر مخملياً، وهي تنظر باعجاب الى كل ما يحيط بها.

كانت جوليا تبتسم وهي ترمقها بين الحين والحين. ولاحظت ألانا ان في نظراتها معنى غريباً لم تستطع ان تدركه. ولما تناولت منديلها لتجفف وجهها، انتبهت الى لمحة جدية مرت بوجه الفتاة.

وتساءلت ألانا، ترى بأي شيء كانت تفكر هذه المرأة وزوجها؟ من الواضح انهما لا يفكران بكونون مطلقاً ويحسبانه غريباً. ذاك العملاق الذي يخطط الشر وجهه، وبالرغم من ذلك يعد نفسه السيد المطلق فوق الجميع.

ـ لقد وصلنا.

ادخلتها الى غرفة واسعة لها نوافذ كبيرة تطل على الحدائق النضرة وما وراءها، وكذلك على البحر الذي تنقط صفحته جزر صغيرة.

ـ تفضلي استريحي.

دعتها جوليا للجلوس وهي تشير الى اريكة مريحة. ثم استأذنت منها، قائلة انها ستعود في الحال.

تركت جوليا الغرفة. واستقر الكلب عند قدميها وهي تنظر نحو النافذة. رأت السيد دونيس يتكلم مع رجل آخر كان يبدو عليه انه يعمل في الحديقة. كان الرجل اعرج. فأثر ذلك في نفس ألانا كثيراً. ثم لدهشتها رأت رجلاً آخر، كان يبدو عاجزاً ولعله مشلول. رفعت يدها الى قلبها الذي كان يعصره الألم من اجل هذين الرجلين. كانت لا تزال تحدق النظر في الرجال الثلاثة عندما دخلت جوليا ترتدي ثوباً ازرق انيقاً.

فبادرتها بالسؤال:

- هل هذان الرجلان يشتغلان في الحدائق؟
أحنت جوليا رأسها، قائلة:
- زوجي يشغّل فقط اولئك الرجال الذين تضرروا بسبب البحر.
هزت ألانا رأسها اشفاقاً، وقالت:
- في الواقع لقد سمعت عن غواصي الاسفنج في كاليمنوس، وما يصيبهم من الاضرار وهم في اعماق البحار.
- هذا صحيح. ولكن هؤلاء الرجال سعداء هنا. لقد انتهت علاقتهم بالبحر. فهم قد تشوهوا حقاً وهذا شيء مؤلم للغاية، ولكنهم يقومون بعمل نافع حتى لا يكونوا عالة على اقربائهم.
واضافت بسرعة عند دخول الخادمة:
- ها هي بوليمني ومعها الصينية.
التفتت ألانا الى بوليمني وقالت:
- شكراً، بوليمني... من فضلك ضعيها على الطاولة.
ثم قدمت جوليا كأس العصير لألانا فقبلتها شاكرة. واخبرتها ان بامكانها ان تطلب المزيد ان هي شاءت.
- انت لطيفة جداً.
قالت ألانا ذلك واخذت رشفة. ثم اضافت:
- لقد مشيت كثيراً...
توقفت عن الكلام، وقد سرى الاحمرار في وجهها وهي تلاحظ ان عيني جوليا الزرقاوين كانتا تتفحصانها. ولكنها تابعت بلطف:
- انا سعيدة بلقائك. طالما اعجبت بالقصر وانا اراه من البعيد، وتساءلت عن سكانه. لقد اخبرني زوجي ان فتاة انكليزية تسكن هنا. وشعرت انه شيء محبب الى النفس ان يتحدث المرء الى شخص من بلده.
- انا سعيدة ايضاً بلقائك.
اجابت جوليا عفوياً. واضافت:
- انا آمل ان تزوريني كلما مررت من هنا.
- من الممكن ان افعل.
نظرت ألانا آلياً نحو النافذة حيث كان الزوج واقفاً وانظار جوليا عالقتان به. فقالت جوليا وكأنها فهمت معنى تلك النظرات:

ـ انا وزوجي كلانا سنكون سعيدين برؤ يتك.
ومن غير ان تترك ألانا لنفسها مجالاً للتفكير، قالت:
ـ سعيدين برؤ يتي. ولكن ليس بزوجي؟
ـ نحن . . . نحن . . .
توقفت جوليا قليلاً بعدما تمتمت بتلك الكلمة، واحست بشيء من الانزعاج، ولكنها تابعت:
ـ اننا نرحب بزوجك ايضاً.
توقفت مرة اخرى عن الكلام، وقد احمر وجهها. ولم تكن ألانا بحاجة الى كلمات لتعلم ان جوليا كانت تحاول ان تكون في غاية الذوق والأدب فيما تقول.
انحنت جوليا وهي في مقعدها وتناولت صحن الشطائر وقدمته لضيفتها، قائلة:
ـ تفضلي وكلي شيئاً.
كانت تقصد بذلك تغيير الموضوع. واضافت:
ـ هل تريدين كأساً اخرى من العصير؟
ـ نعم، شكراً.
تناولت ألانا شطيرة ووضعتها في صحنها، ثم اضافت:
ـ ان الجو حار، وقد مشيت كثيراً.
ـ هل تعنين انك مشيت مدة طويلة؟
كان صوتها ناعماً عذباً منخفضاً، ولكن فيه رنة غرابة وكآبة. فأحنت ألانا رأسها وقالت:
ـ لقد سرت ساعات وساعات. . .
ثم توقفت عن الكلام، خشية ان يزل لسانها فتقول لجوليا انها كانت تريد الهرب من البيت. ولكنها تابعت بعد ان رمقتها جوليا بنظرة استفهام لتشجيعها على المضي بالحديث:
ـ سرت ساعات وساعات كنت اتوقف بينها لأنال قسطاً من الراحة.
ـ هل احببت المكان؟
ـ هذا الشاطىء، نعم بالتأكيد. فهو في الحقيقة ساحر جداً!
ـ السكان يجدونه موحشاً مهجوراً.

- ولكني وجدته جذاباً ومريحاً.
في الواقع ان ألانا لم تكن تقصد ان تقول شيئاً من هذا القبيل. ولكنها تعمدت ذلك حتى لا تثير الشكوك في نفس جوليا، التي لم تعلق على هذا الكلام، بل قالت:
- سوف احضر لك كأساً اخرى.
ثم خرجت برشاقة وخفة. وبدأت ألانا تأكل. ولكنها سمعت اصواتاً خافتة آتية من زاوية النافذة، من الخارج. لم تكن تقصد ان تستمع لما يدور من حديث، ولكن لقرب المسافة، كان الكلام يصلها واضحاً مفهوماً.
- انها زوجة السيد كونون! لماذا تأتي الى هنا، طالما السيد دونيس لا يحب زوجها؟
وعندما وجدت ألانا ان الحديث يدور حول زوجها، تركت الطعام لتصغي. وادركت على الفور ان خادمتين هما اللتان كانتا تتكلمان وباللغة الانكليزية، بجودة وطلاقة. ومن الواضح انه لم يتطرق الى ذهنهما ان بامكانها ان تسمع حديثهما.
وعادت تقول الواحدة للأخرى:
- انا لا اعرف، ولكني كثيراً ما رأيتها تسير في الطريق، والكآبة تبدو على وجهها، فهي لا شك تعيسة. واظن انها تخاف ذلك الرجل السيء الذي تزوجت منه.
- ولكن من الغريب اننا لا نعرف شيئاً عنه.
- ابن عمي يعيش في باتموس، وقبل ثلاثة اسابيع جاء في زيارة الى هنا، وقال ان السيد كونون حاول ان يقتل زوجته الأولى!
- يقتلها! ولكنك لم تخبريني بذلك يا تولا.
- لقد اخبرت السيدة بذلك، فغضبت، وقالت لي الا انشر مثل هذه الاشاعات، التي قد تكون غير صحيحة.
- السيدة جوليا لا تريدنا ان نقول شيئاً عن اي انسان، فهي امرأة طيبة.
- ولكني اظن ان السيد دونيس يعرف من قبل، ان السيد كونون حاول ان يقتل زوجته.
- لماذا تظنين ذلك؟
- لأني سمعت السيدة مؤخراً تخبره بما قلت لها، فلم يبد اية دهشة،

واظن ان هذا ما يجعله لا يحب السيد كونون.

- وانا اظن انه لا يحبه لأن السيد كونون لا يحب العلاقات الاجتماعية. فقد رفض دعوات السيد دونيس، كما كان وقحاً في الرد ايضاً.

ثم اخذت المرأتان تثرثران بلغتهما الأصلية وحيث لم تعد ألانا تستطيع ان تفهم شيئاً اكثر. وعند رجوع جوليا سألتها ان كان جميع خدمها يتكلمون اللغة الانكليزية.

- لقد علّمت البعض منهم.

اجابت جوليا بارتباك، واضافت:

- لماذا تسألين؟

- لقد سمعت اثنتين منهما خارج النافذة، وعجبت من استعمالهما اللغة الانكليزية في حديثهما.

حولت جوليا نظرها الى زاوية النافذة، وتمتمت:

- انهم يحبون ان يتمرنوا على الحديث.

ثم نظرت الى ألانا مباشرة، وسألت:

- عن اي شيء كانتا تتكلمان؟

هزت ألانا كتفيها، وقالت بلامبالاة:

- لا شيء له اهمية...

وتلاشى صوتها وهي تنظر الى عيني جوليا الثاقبتين، وعرفت ان كلامها غير الصحيح لم يفدها في شيء. فان جوليا عرفت انها كانت تكذب. وحتى لا تترك لها مجالاً لاسئلة اخرى رشفت ما تبقى في كأسها، ووقفت تقول:

- يجب ان اذهب.

تظاهرت بانها تأخرت كثيراً، وقالت:

- سيتساءل زوجي عما حدث لي. الى اللقاء سيدة جوليا، واشكرك على لطفك وكرمك.

لم تقل جوليا شيئاً، ولكنها رافقتها حتى البوابة الخارجية، وهناك اخذت تذكرها انهما يرحبان بها في القصر في اي وقت تشاء.

- شكراً سيدة جوليا.

- لا تتأخري.

[illegible] جوليا لها، ووجدت ألانا نفسها تقول:

- لن اتأخر، اني اعدك.

التفتت جوليا عندما سمعت وقع اقدام، فرأت ألانا عينيها تشعان وهي تنظر الى دونيس آتياً اليهما.

- هل تشعرين بتحسن؟

سألها بادب، وعيناه تتفحصان وجهها الشاحب واضاف:

- هل تحبين ان انقلك الى بيتك بسيارتي؟

هزت رأسها، وقالت:

- انه لطف منك، فأنا اشعر انني احسن بكثير الآن، وانا افضل المشي.

- لقد طلبت من السيدة ألانا ان تزورنا كلما ارادت.

قالت جوليا توجه الكلام الى زوجها، وتابعت:

- ووعدت ان تفعل.

كان التأكيد في رنة صوتها. ولكن على شفتي زوجها كانت تبدو ابتسامة باهتة. فأدركت ألانا انهما يشكان بأنها تستطيع ان تقبل الدعوة التي صدرت عن جوليا. ثم قال زوجها بصوت منخفض، غريب النبرات، انهما سيكونان سعيدين اذا جاءت لتراهما. واضاف بفخر:

- في المرة القادمة ستقابلين ولدنا. لقد اصبح عمره سنتين، وها انت تجدين انه اصبح شاباً!

ضحكت جوليا، وهي تمسك يد زوجها بمودة، وقالت:

- كيف تجرؤ ان تقول عنه انه شاب؟ انه لا يزال طفلاً!

ابتسم لها ابتسامة شاحبة بوقار. فلاحظت ألانا كم كان الشبه عظيماً بينه وبين زوجها. مع ان دونيس كان زوجاً سعيداً، وأباً فخوراً. بينما كونون كان تعيساً حزيناً، لا يعرف الحب طريقه الى قلبه، ولا السعادة الى نفسه سبيلاً. لعله يستمتع بما يعاني من آلام، بالجراح التي تثخن قلبه، بالحقد الذي يوغر صدره. يعيش عقله في الظلام لا يعرف النور اليه سبيلاً، وروحه قد غشيتها عتمة الليل والقمر في المحاق، فارتدت ثوب السواد...

وجدت ألانا نفسها تبتلع ريقها بصعوبة. واغرورقت عيناها بالدموع. ولم تعد تستطيع التفكير بوضوح اثناء الطريق. فكل ما كانت تراه هو تعاسة زوجها، وانطواؤه على احزانه، تلك التي لا يحاول الهروب منها.

كانت قد اقتربت من المنزل عندما اخذت تستعيد ما سمعت من المرأتين. وشعرت ان الأمر اصبح معروفاً لدى الجميع، بأن كونون حاول ان يقتل زوجته الأولى. وتساءلت، ترى ما رأي دونيس وزوجته في ذلك؟ هل سمعا فقط جانباً من القصة؟ فكونون لم يسكن في هذه الجزيرة الا من مدة قصيرة. ولذا، فهل من الممكن ان يفكر بانه قاتل؟ هكذا بكل بساطة؟

قررت ألانا أن تخبر جوليا القصة بحذافيرها، في اول لقاء. سوف تخبرها عن كونون الذي عرفته منذ سنوات عديدة.

٨ - هل من الممكن ان كونون يحبها؟ ولكن ماذا عنها هي ؟ كم ستكون الأمور سهلة لو ان ما تحس به نحو زوجها هو. . . الحب!

كان كونون في غرفة المطالعة عندما عادت ألانا الى الفيللا. رفع رأسه عن الكتاب الذي كان يقرأ فيه واستقرت عيناه على وجهها.

ـ اين كنت طيلة هذا الوقت؟

سألها بهدوء، واضاف:

ـ ايقنت انك لن تكوني غبية لدرجة محاولة الهرب مرة اخرى.

وقفت عند الباب، وحدقت النظر فيه عبر الغرفة الجميلة التي تنتشر فيها رائحة الزهر الآتية من النافذة المفتوحة. كانت تحس بشعور فيه نوع من البهجة لم تستطع وصفه، مع ان نظراتها كانت مفعمة بالاحتقار والكراهية.

قطب كونون حاجبيه وسألها ثانية:

ـ اين كنت؟
اجابت وهي تتقدم الى الداخل:
ـ كنت اتنزه.
ـ يبدو انك ابتعدت كثيراً.
ـ نعم.
واستمرت بالاقتراب منه، لتبدي له انها ليست خائفة منه، بالرغم من امارات القسوة التي بدت على وجهه، والبريق الذي لمع في عينيه من جراء اجاباتها المختصرة.
ـ الى اين ذهبت؟
ـ الى نهاية الجزيرة.
ـ هل قابلت احداً؟
ـ ما الذي يجعلك تسأل هذا السؤال؟
نظر كونون الى ساعة يده وقال:
ـ طول الزمن الذي قضيته خارج البيت.
ـ لقد قابلت الذين يسكنون القصر.
واستعادت في ذاكرتها قوله، انه لا يهتم بهم كما انهم هم ايضاً لا يهتمون به.
ـ هل تحدثت اليهم؟
ـ خرج الكلب يعوي، فخفت منه وصرخت. ثم ظهر السيد دونيس.
ـ انا سألت ان كنت تكلمت معهم.
ـ نعم لقد فعلت.
لمست حرف المزهرية التي كانت على الطاولة حيث كانت تقف وقالت:
ـ لم اتمكن ان افعل شيئاً آخر.
ـ كم بقيت مع هذا الرجل؟
ـ جاءت زوجته على الفور، ودعيت لتناول بعض الشطائر والعصير...
ـ وهكذا دخلت، وبقيت هذه المدة الطويلة.
ـ دخلت، هذا صحيح، ولكني لم ابق طويلاً.
ـ عن اي شيء تحدثتم؟

كان يريد ان يعرف ما دار بينهم. فهزت ألانا كتفيها، وقالت:
- احاديث عامة. والسيدة جوليا زوجة دونيس دعتني لأزورها ثانية.
يبدو ان كونون كان يفكر قبل ان يقول:
- لا تذهبي ثانية يا ألانا، هل تفهمين؟
نبرات صوته اللطيفة كادت تخدعها. ولكنها رفعت وجهها تريد ان تعترض على السلطة التي بدت في تلك النبرات. ومن العجيب ان صوتها كان خالياً من اي عداء وهي تقول:
- اذا اعطيتني سبباً واحداً معقولاً لطلبك هذا، فاني لن اكرر زيارتي لهم.
- قلت لك لا تذهبي ثانية. واما السبب فانه لا يخصك.
- كونون، لماذا تفضل الابتعاد عنهم؟ فهم لطفاء جداً.
- لا اريد ان يزعجني احد بدعواته. ولا احب ان اشجعهم على ذلك.
- انه شيء جميل ان يكون لك اصدقاء، ويمكننا نحن ايضاً ان ندعوهم لتناول المرطبات معنا.
قالت ذلك من غير ان تدري اذا كانت هذه الدعوة تسر دونيس وزوجته. ولكن كل ما هنالك انها كانت تريد ان تعرف صدى هذا الاقتراح في نفس كونون. فأجاب:
- لقد توقفت عن اتخاذ الأصدقاء منذ زمن طويل.
- يمكنك ان تبدأ من جديد.
- يمكنني ان كنت اريد ذلك. ولكن الواقع انني لا اريد.
هزت ألانا كتفيها وهي تشعر بالخيبة اكثر من ذي قبل.
- كما تريد يا كونون.
قالت ذلك وكانت على وشك الخروج من الغرفة، عندما سمعته يقول:
- هل تعدينني بألا تزوريهم ثانية؟
هزت رأسها على الفور واجابت بهدوء:
- لا، كونون. لن اعدك بذلك. فأنا سأذهب ثانية. جوليا فتاة انكليزية، ومن المعقول ان نزور بعضنا بعضاً.
- ارجو ان تكوني اكثر تعقلاً من ان تخيبي املي.
- هل تمنحني هذا الشيء الصغير الوحيد الذي يسرني؟

اجاب بخشونة:

- كل همي الا تعرفي المسرة على الاطلاق او على الأصح ان كل اهتمامي هو ان اعرفك على جهنم كيف تكون.

نظر اليها بقسوة ولم يكن من الصعب قراءة افكاره. الأفكار التي اخذته بلا رحمة الى الدقائق التي قضاها مع ولده. الطفل الذي لن تفارقه ذكراه ابداً. تؤلمه، تعذبه، وحتى تدمره. ونظرت ألانا اليه بحزن، وهي تتساءل كيف يمكنه ان ينسى هذه المأساة المروعة؟ ثم سمعته يتمتم:

- نعم... نعم، الحياة يمكن ان تكون جحيماً.

احست ألانا انه لم يعد شاعراً بوجودها. كان غائباً في اعماق الماضي. بدا وجهه قبيحاً، والحزن يطل من عينيه الرماديتين القاتمتين. فكادت الدموع تطفر من عينيها، لولا انها حبستها بسرعة. فهي لا تريد ان يراها زوجها تبكي من اجل مأساته. ولكنه كان يراقبها، واخذت ملامح وجهه تتغير ببطء، وظهر في عينيه التعجب. واشاحت ألانا عنه نحو النافذة. ولما طال بهما الصمت قالت:

- كونون، الحياة يمكن ان تكون كما تصنعها انت. اعرف ان هذه ليست الحال دائماً ولكنها تحدث كثيراً. فأنت تعيش على الماضي...

- عندي الشيء الكثير لأعيش عليه. فأنت لا تعرفين كل شيء. ارجوك كفي عن النصح!

ألانا التفتت اليه ووقفت قبالته تكلمه بلطف:

- اني مستعدة للاصغاء. هل كل هذا لأنه مرت في حياتك بعض الأمور المحزنة؟

عيناه اتسعتا، وألانا امسكت قلبها بيديها. لن يعرف مطلقاً ان كاتينا اخبرتها عن الطفل.

- ما الذي جعلك تسألين مثل هذا السؤال؟

هزت كتفيها بلا مبالاة، وقالت:

- لأنك كثيراً ما تبدو حزيناً يا كونون.

- حزين!

ومرة اخرى غاب في الماضي وقال:

- ليس مهماً ان كنت حزيناً. وهذا ليس من شأنك.

ـ ولكنني زوجتك.

ـ زوجتي! انت تلبسين خاتم الزواج هذا صحيح، ولكنك لست زوجتي بالمعنى الحقيقي لهذه الكلمة، ما دامت لا توجد بيننا رابطة روحية.

تنهدت ألانا، وتركت الغرفة غير مصدقة انه نسي ان يعيد مناقشة زيارتها للقصر، بسبب ما يحس من آلام.

بعد ثلاثة أيام، عزم كونون على الذهاب الى أثينا. واخبرها انه سيغيب مدة اربعة او خمسة ايام. ومما اثار دهشتها انه لم يطلب منها مرافقته. حتى انه لم يسألها ان كانت تحب ان تزور العاصمة. وذهب مبكراً قبل ان تستيقظ.

اول ما احست به هو الحرية، الشعور الذي فقدته منذ عرفت انها ستصبح زوجة كونون. وبصورة لاشعورية وجدت نفسها تتوجه نحو القصر مسرعة تائقة لرؤ ية جوليا. . . السيدة الشابة الجميلة، التي كانت بعرف كونون قد ارغمت على الزواج، وانه بعد الزواج انعم الله عليهما بالحب والسعادة بالاضافة الى طفل صغير لطيف.

ابن. . . سرت البرودة في عروقها. اذن، هذا هو السبب الذي جعل كونون لا يشجع نشوء صداقة بينهم. لقد كان غيوراً. لا يريد ان يرى طفلهما وقد فقد طفله.

كانت جوليا في الحديقة عندما وصلت البوابة التي فتحت على الفور ودعيت الى الدخول بابتسامة من زوجة دونيس.

ـ كم هو جميل منك ان تأتي لزيارتنا بهذه السرعة. واريدها ان تكون زيارة طويلة. طفلي نائم الآن واحب ان تريه، وهو سيستيقظ خلال ساعة تقريباً.

ـ سوف افعل. زوجي مسافر وسيغيب بضعة ايام.

ـ هل تبقين لتناول الغداء معنا اذن؟ دونيس مشغول في مكتبه، ويجب الا ازعجه. وهكذا لدي وقت طويل اقضيه معك.

قالت جوليا ذلك لتشجع ألانا على البقاء، فسرت ألانا، وشعرت انها وجدت في جوليا صديقة لها. ولن يستطيع كونون ان يفعل او يقول ما يجعلها تبتعد عن القصر.

ـ في الواقع احب ان ابقى.

تلفتت ألانا حولها وشملت الحديقة الساحرة بنظراتها، ثم حانت منها

التفاتة الى السطح، فسألت وهي تشير اليه:
- هل هناك حديقة ايضاً؟
ولما احنت جوليا رأسها علامة الايجاب، اضافت:
- لا بد انها تطل على مناظر فتانة. أليس كذلك؟
- بالتأكيد. تعالي نصعد ونتناول قهوتنا هناك. ام تفضلين شيئاً بارداً؟
- اني افضل القهوة.

وتبعت جوليا عبر المرج الأخضر الذي يمتد امام القصر وهي تشعر انها تريد ان تخبرها في هذه الزيارة عن شخصية كونون التي عرفتها منذ سنوات، آملة ان تسمع منها بدورها المزيد.

ولما بلغتا السطح، وقفت ألانا تجول بأنظارها من جهة لاخرى، لتمتع النفس بتلك المشاهد الخلابة من جميع الزوايا. الجبال بـرؤوسها الصخرية. التلال الناعمة الخضراء، تتخللها البيوت البيضاء. وفي العلاء سماء اليونان الزرقاء تزيدها اشعة الشمس الذهبية جمالاً.

- اية صور هي هذه! لو كنت اسكن هنا، لبقيت على هذا السطح طيلة الوقت.
- ولكن المناظر مدهشة ساحرة من بيتك ايضاً. انا احب منزلك، فموقعه يشرح الصدر، ونحن نحب مشهد الجانب المشجر من الجزيرة الذي يرى من الفيللا.

احنت ألانا رأسها موافقة على كلامها. فالمناظر التي تكتنف الفيللا هي اجمل مشاهد الجزيرة دون شك.

- تفضلي بالجلوس.

دعتها جوليا وهي تقدم لها كرسياً من كراسي الحديقة المريحة. فجلست ألانا واسترخت في جلستها تمتع النظر بمرأى النافورة التي تلمع مياهها تحت اشعة الشمس، وتشكل قوس قزح.

ذهبت جوليا، وعادت بسرعة تحمل صينية عليها فنجانان من القهوة وهي تقول:
- احدى الخادمات ذهبت اليوم لتزور ابنها ولذا فاني اساعد الخادمتين الأخريين ببعض الأعمال.

ثم ابتسمت لألانا وهي تغمز بعينها:

- انا احياناً افكر ان بعض العمل يفيدني. ولكن دونيس لا يحب ان يسمع ذلك مطلقاً.

تغير صوتها عند ذكر اسم زوجها، ووجدت ألانا نفسها تحسد هذه المرأة على سعادتها الواضحة في حياتها.

جوليا اخذت تتحدث، وعرفت ألانا من حديثها ان عمر ابنها يقارب عمر ابن كونون عندما توفي.

ومع ان جوليا لم تتطرق الى ذكر كونون الا انها اضطرت الى ذلك عندما اقحمته ألانا في الحديث.

فقد قالت ألانا، انها لتعجب كيف ان الرجلين كونون ودونيس لم يصبحا صديقين بحكم الجوار، مع انهما يتشابهان في كثير من الصفات.

فقالت جوليا بكثير من الذوق حتى لا تجعل زائرتها تنفر:

- الحقيقة انا نفسي لم استطع ان افسر ذلك. ولكني متأكدة ان زوجك يحب ان يبقى وحيداً.

- اجل، انا اعرف ان زوجك قام ببعض المحاولات لينشىء صداقة مع كونون، أليس كذلك؟

- نعم لقد فعل. ودعا زوجك . . .

خفضت جوليا صوتها حتى لاذت بالصمت. ولكن بعد وقفة قصيرة، عملت ألانا على متابعة الحديث. كانت حاذقة حتى انها استطاعت ان تعرف بعض الاشياء عن زوجها. ثم قالت: -

- وكونون لم يستجب. انا اعرف انه لا يرحب بصداقة احد.

سكتت جوليا عن الكلام فترة، واخيراً بلباقة وذوق، عادت لتسأل ان كانت ألانا تحب ان تعرف بعض التفاصيل، واضافت:

- انا اسألك لأنه بدا لي انك متحمسة للحديث عن زوجك وانك تبحثين عن معلومات بشأنه.

اجابت ألانا من غير ابطاء:

- نعم انه لكذلك، فقد تكهنت يا سيدة جوليا منذ البدء ان هناك امراً غير طبيعي في زواجنا.

- انه من الطبيعي . . .

ثم توقفت عن الكلام فجأة. وعادت تقول:

ـ هل يمكنني ان اناديك باسمك؟
وعندما احنت ألانا رأسها بحماس قالت:
ـ ان اسمك لطيف ونادر، ألانا. من الطبيعي ان اكون فضولية. قلت أنا، لأن زوجي ليس فضولياً مطلقاً وقد انبني لاسئلتي عن الرجل الذي يسكن بجوارنا، ويعيش حياة انعزالية.
توقفت جوليا قليلاً، ثم تابعت:
ـ فقلت في نفسي، لعله يداوي بعض الجراح التي اصابته، وكل ظني انه متزوج وانفصل عن زوجته. ولما شاع خبر يقول انه يريد ان يتزوج ادركت اني كنت مخطئة في تكهناتي.
ومرة اخرى سكتت، وألانا تراقبها بفضول، ثم سألتها:
ـ كيف عرفت انه كان متزوجاً؟
ـ عن طريق الخدم. وقد اخبر زوجي عن ذلك احد الرجال الذين يعملون في الحديقة.
ـ لعلها كانت مفاجأة لك يا جوليا، أليس كذلك؟
قالت ألانا جملتها بشيء من الخجل، اما جوليا فقد ابتسمت لضيفتها، وقالت:
ـ نعم كانت مفاجأة. ولما اشيع ان خطيبته انكليزية، زاد فضولي.
رفعت جوليا الفنجان ورشفت منه القهوة ساخنة، ثم اضافت:
ـ انت ترين ان هناك بعض الظروف القديمة تتعلق بزواجي انا. وسأخبرك عنها في وقت آخر. على اية حال، قلت اني صرت فضولية، ومتحمسة للقائك. ولكن كان ذلك صعب التنفيذ مع اني كنت عازمة على دعوتك بعد زواجك. الا ان زوجي منعني من ذلك.
ـ بالطبع لأنه لا يميل الى كونون، أليس كذلك؟
ـ انا لم اقل ذلك. ولكنه يشعر انه من واجبنا احترام رغباته.
ـ نعم، لقد فهمت.
سكتت لحظة، ثم تابعت تحكي لجوليا عن شخصية كونون قبل مأساة زواجه الأول، وعن قصتها الحديثة معه. وعجبت من نفسها كيف وثقت بها الى هذا الحد مع ان معرفتها بها ليست ببعيدة وصلتها بها غير وثيقة. ولكنها كانت سعيدة لأنها وجدت صديقة.

وأخيراً قالت:
- هل رأيت؟ فهناك اعذار لكونون علي تصرفاته.
وعندما انهت ألانا حديثها، اخذت نفساً عميقاً تنتظر تعليق صديقتها، فقالت:
- انها قصة لا تصدق! هكذا اذن، انت ايضاً اجبرت على الزواج...
- نعم، وعرفت انك انت ايضاً اجبرت على ذلك. زوجي اخبرني. ولكنه اخبرني ايضاً عن سعادتكما الآن.
لمعت عينا جوليا بحب عميق، وقالت:
- هذا صحيح، لقد انقلب اخيراً كل شيء الى الخير... هل تعلمين يا الانا، لدي شعور عميق ان زواجكما ايضاً سينقلب الى الأفضل.
- لا، لا يمكن.
هزت ألانا رأسها بيأس وتابعت:
- كونون يكرهني. حقاً يكرهني يا جوليا. انا لا أبالغ.
افترت شفتا جوليا عن ابتسامة جذابة، وقالت:
- النساء مخلوقات عجيبة يا ألانا. نحن نظن ان لدينا جميع الأجوبة، لكل الاسئلة. بينما في الواقع نحن لا نملك حتى الاسئلة الصحيحة عن انفسنا. فهل تصدقين حقيقة ان كونون تزوجك من اجل الانتقام؟
- انا متأكدة من ذلك.
- لدي شعور انه لا يزال يحبك يا ألانا..
حدقت ألانا في وجهها، وفي عينيها الجميلتين علامات عدم التصديق:
- لا... لا يمكن ذلك يا جوليا. انت مخطئة وانا اعرف ذلك.
- ما الذي يجعلك واثقة الى هذا الحد؟
- المرأة تعرف ان كانت محبوبة، او مكروهة.
ومع انها قالت ذلك، لكنها في نفس الوقت كانت تفكر بالشكوك التي تخامرها عن سبب زواج كونون منها.
وبعد برهة، قالت جوليا راجية:
- هل يمكنني ان اسألك سؤالاً شخصياً؟
- طبعاً يمكنك. فقد وضعت فيك ثقتي ولم يعد هناك مجال للتراجع.
- هل تحبين زوجك؟

ـ لا، بالتأكيد لا!

قالت ذلك بحماس، ناسية للحظات ان جوليا ايضاً اكرهت على الزواج، وتابعت:

ـ هل يمكنك ان تحمي رجلاً اجبرت على الزواج منه؟

ضحكت جوليا بالرغم من جدية الموقف، وقالت:

ـ لقد فعلت يا ألانا. وانت تعرفين.

ـ نعم، نعم...

احست ألانا بأنها كانت بلهاء، فسكتت برهة ثم اضافت:

ـ لكن وضعي يختلف عن وضعك تماماً...

ـ قد يختلف في بعض النواحي. لكن لا بد وان يكون هناك تشابه. على اية حال، سأعيد عليك السؤال: هل تحبين زوجك؟

ـ لا.

هزت رأسها وهي تضيف انه من المستحيل ان تحبه.

ـ حسناً.

ونظرت في عيني ألانا طويلاً، ثم قالت:

ـ اريد ان اسألك سؤالاً اخر، لو سمحت؟

ـ نعم؟

ـ هل تكرهين كونون كما كنت تكرهينه في بدء زواجكما؟

لم تجب ألانا، فهي تحس انه حدث تغيير في مشاعرها نحو كونون، اما جوليا فقد ابتسمت، وعرفت الاجابة على سؤالها من سكوت رفيقتها. ولكن ألانا بعد لحظة من التفكير قالت:

ـ اني اعترف انني كنت اكره كونون في البدء، ولكني بالتأكيد لا اكرهه الآن.

ـ انت تشفقين عليه؟

سألتها جوليا بعفوية، وكأن الفكرة ساورتها في تلك اللحظة.

ـ نعم، اني افعل. وكما اخبرتك انه فقد ابنه الصغير بطريقة مرعبة.

ـ ومن الغريب انه لم يذكر لك هذا الابن ابداً!

ـ احس انه لا يحتمل التحدث عنه، مع اني اعرف انه يفكر فيه كثيراً.

ـ كيف تعرفين ذلك؟

ـ من الكآبة التي تبدو عليه، من الحزن العميق الذي يطل من عينيه، فهو يطيل التفكير ونظراته ترمي الى البعيد البعيد.

برهة صمت مضت، قطبت ألانا حاجبيها خلالها، ثم قالت:

ـ اني احس بأني الملومة، فلو اني تزوجت منه، منذ ذاك الحين، لما حلت عليه كل هذه المصائب.

ـ هذا صحيح. ولكن من اين لك ان تعرفي ذلك؟ فقد كنت في ذاك الحين حرة تختارين الحياة التي تريدينها ولست مسؤولة عما يحدث بعد ذلك.

ـ نعم، ولأنه كان لي حرية الاختيار، أحس الآن بالذنب. ما ضر لو اني اخترته؟

ـ اظن انك اسأت الاختيار.

احنت ألانا رأسها دلالة الموافقة.

ـ انا... انا...

وانقطعت عن الكلام، غير قادرة على اختيار الكلمات التي يمكن ان تعبر عن مشاعرها في تلك الدقيقة. فقد كان صراع عنيف يعتمل في نفسها، بدت آثاره على وجهها ولاحظت جوليا ذلك، فقالت:

ـ ما بك يا ألانا؟

ـ اني اسائل نفسي عن حقيقة ما احس به نحو كونون.

ـ وهل خرجت بنتيجة جلية؟

ـ في الواقع انه الاشفاق ما احس به نحوه.

قالت ذلك هامسة وكأنها تكلم نفسها، وهي تتطلع بنظرات غائمة من غير ان ترى شيئاً، تتطلع نحو البحر، وجزره العديدة، الى الافق البعيد. ثم تابعت بنفس الصوت الهامس:

ـ انه ... انه لا يمكن ان يكون الحب!

التفتت نحو جوليا لتلاحظ ملامح الحنان بادية في عينيها وهي تبتسم وتتمتم بلطف:

ـ انه الحب... انه الحب يا عزيزتي ألانا!

احمرت وجنتا ألانا، كانت تريد ان تتهرب من نظرات جوليا لو استطاعت الى ذلك سبيلاً، فقالت:

ـ هل رأيت زوجي؟
هذه هي الكلمات التي تمكنت من قولها، وكانت ابتسامة جوليا اقرب الى الضحك، وهي تجيب:
ـ لقد قلت انه لا يمكن لأمرأة صحيحة العقل ان تقع في حب رجل خال من الجاذبية مثله، أليس كذلك؟
ـ تماماً.
وعاد اللون يتسرب الى وجهها شيئاً فشيئاً، وهي تستمع لما تقوله جوليا:
ـ وقد قلت ايضاً انه كان يوم عرفته اجمل رجل قابلته في حياتك او يمكن ان تقابليه. أليس كذلك؟
ـ نعم لقد كان. لكن انظري اليه الآن، فهو مخيف في اكثر الأحيان.
ـ اظن انك تقصدين ان امارات مرعبة تبدو على وجهه.
ـ يصبح قبيحاً للغاية عندما يغضب.
لا تدري ألانا لماذا كانت تتكلم عنه بهذه الطريقة. ولا شك ان كل همها كان ان تحارب فكرة حبها له. وتقنع نفسها انه من غير الممكن ان تقع في حب رجل كهذا.
ـ ألانا، ليس الظاهر ما هو المهم.
قالت جوليا ذلك بنفس الابتسامة العذبة التي تبدو على شفتيها، واضافت:
ـ انا نفسي اكتشفت ذلك...
وعاشت جوليا مع ذكرياتها فترة. ولما افاقت من شرودها، غيرت موضوع الحديث، وبقيتا حتى وقت متأخر من النهار عندما كانت ألانا تريد الذهاب بعد ان قضت وقتاً سعيداً خلال تلك الساعات مع صديقتها الجديدة.
تناول دونيس طعام الغداء معهما، فكان مؤدباً متزناً في جميع تصرفاته. غير ان تحفظه ذاك اختفى، عندما احضرت المربية الطفل. وتركته في الفناء حيث كان الثلاثة يشربون القهوة بعد الغداء.
ألانا اعجبت بالصبي الذي كان ذكياً وقد انعم الله عليه بوجه جميل، يشبه امه. اما شعره وعيناه الداكنتان فكان الشبه فيها لأبيه. الأب الذي ظهرت على وجهه علامات البهجة والافتخار في اللحظة التي جاء فيها

الطفل الى الفناء وركض مباشرة اليه وبمساعدته قفز الى ركبتيه.

لم تستطع ألانا ان تبعد عنها التفكير بكونون وبالطفل الصغير الذي فقده. واغرقتها كآبة حزن، بينما كان دونيس ينظر اليها.

- كنت افكر بابن زوجي الصغير.

قالت ألانا ذلك لتجيب على التساؤل الذي بدا في عيني دونيس. واضافت:

- لقد فقده، ألا تعرف ذلك؟

- نعم اني اعرف، عزيزتي...

قاطعته جوليا:

- ما دمت تعرف، لماذا لم تخبرني؟

كانت علامات الاستنكار تبدو في عينيها، مما جعل ابتسامة باهتة تظهر على شفتي زوجها، وقال:

- فضول النساء... عزيز عليّ!

كان يقصد مداعبة زوجته بتلك الكلمات، ولما لم يجد الا التقطيب في وجهها، اضاف:

- ليس هذا من شأنك او شأني، على اية حال.

كان كلامه قاطعاً وضع حداً دون استمرار زوجته في الاسئلة.

ولما عاد دونيس الى غرفة مكتبه، استأذنت جوليا من ألانا بضع دقائق، تريد ان تحدث زوجها. وعندما رجعت كان التجهم يبدو على جبينها بدل الابتسامة التي كانت تلازم شفتيها. ونظرت الى ألانا نظرات غريبة فيها كلام كثير. مما جعلها تدرك ان موضوع الطفل قد نوقش بين الزوج وزوجته. فقالت مستفسرة:

- ما بك جوليا؟ هل من شيء هناك؟

هزت جوليا رأسها وامارات الاستياء تلازم وجهها، واجابت:

- لا، ليس هناك اي شيء.

فعرفت ألانا على الفور ان دونيس منع زوجته من الافشاء بأي معلومات.

في الساعة الرابعة، رافقتها جوليا حتى البوابة الرئيسية. ارادت ألانا ان تعود لسؤالها قبل ان تودعها، ولكن قبل ان تسأل قالت جوليا:

ـ لا تحكمي على زوجك بقسوة. ربما هناك امور لم تدركيها بعد... واشياء اخرى هو ايضاً لم يدركها.

ـ ما الذي لا يعرفه كونون؟ فأنا قد عرفت ما تقصدين في الشق الأول من كلامك، وهو ان كونون لا يزال يحبني، أليس كذلك؟

ـ نعم يا ألانا هذا صحيح.

ـ أما الشق الثاني؟

ـ لا استطيع ان اخبرك شيئاً. انه من الصعب جداً علي. فالى اللقاء، وعودي ثانية.

بناء على دعوة جوليا الصادقة كانت ألانا تحب باخلاص ان تدعوها هي بدورها، ولكنها كانت تعلم انها لن تلبي دعوتها بالرغم من معرفتها بغياب كونون عن المنزل.

كانت الهواجس تدور في رأسها وهي في طريقها الى الفيللا. تفكر فيما قاله دونيس لزوجته. ذاك السر الذي اخفته جوليا عنها، لأن زوجها لا شك منعها من البوح به.

كم حاولت ان تجرها الى الكلام ولكن دون جدوى فجوليا كانت مصرة على الكتمان. مما جعلها تحس بالاستياء من تلك السلطة التي كان دونيس يفرضها على زوجته.

على اية حال فان ألانا اخيراً هزت كتفيها مذعنة للأمر وهي تعلم ان الرجل لا يحب التدخل في مشاكل الآخرين. واخذت تفكر فيما قالته جوليا لها، من ان كونون يحبها ولو كان يخفي ذلك. وتذكرت عند ذلك غضبه كلما حاولت ان تسأله عن السبب الحقيقي لزواجه منها. فهل هذا يعني انه يحبها بالفعل، ولا يريد ان يبوح لها بذلك حيال ما تبديه نحوه من كراهية؟

كونون يحبها... ولكن ماذا عن عواطفها هي نحوه؟ وكم ستكون الأمور سهلة لو ان ما تحس به نحو زوجها هو الحب.

ولكنها ابعدت هذه الفكرة عن ذهنها وصارت تؤكد لنفسها ان مشاعرها نحوه لا تزيد عن الاشفاق، واخذت تتخيله بصورته التي لا تحبها. عملاقاً يأمر وينهي. على شفتيه دائماً ابتسامة سخرية. مثقلاً بالأحزان. والشخص الذي كان وسيماً مرحاً جذاباً لطيفاً راح ومضى.

٩ - كيف انخدعت به طيلة هذه المدة؟ قالت امها: لا تغتري بالمظاهر بل انظري الى خفايا القلوب. ولكن كيف يمكن للمرء ان يصل الى خفايا القلوب؟

- سيدتي، هناك زائر في انتظارك.

كانت كاتينا تقف في الفناء عندما وصلت ألانا الى المنزل. فأخبرتها قبل ان تصعد الدرجات وأضافت:

- انه الرجل الذي أتى برفقتك في البدء...

- ماكس!

نظرت ألانا غير مصدقة. وسألت بتعجب:

- هل هو من تعنين، كاتينا؟

- نعم هو الرجل.

كان صوت كاتينا بارداً وتبدو على وجهها علامات الانزعاج. وأضافت:

- انه في الغرفة الصغيرة سيدتي.
- شكراً لك كاتينا.
ما الذي حدث يا ترى، ماذا يريد مني هذا الرجل بعد الآن؟ سألت نفسها وهي تستغرب مجيئه. وقالت:
- سوف ادخل على الفور. هل انتظر طويلاً؟
- منذ ساعتين، سيدتي.
توقفت كاتينا لحظة عن الكلام ثم تابعت:
- ارجو الا يزعج هذا الأمر سيدي...
قطبت الانا حاجبيها وهي تعبر القاعة الفسيحة نحو باب الغرفة حيث كان ماكس. ومن قبل ان تفتحه التفتت الى كاتينا فرأت الدموع تنزل من عينيها، فقالت:
- انا لا ادري ما الذي جعلك تظنين ان سيدك سيتألم؟
فتنهدت الخادمة وقالت:
- لأن الرجل قال انه آت ليأخذك معه.
فتحت ألانا عينيها بدهشة وقالت:
- لا تقلقي فسيدك لن ينزعج.
وبعد هنيهة كانت تواجه ماكس في الغرفة الصغيرة الأنيقة الأثاث، تطل على بركة سباحة واسعة ومشهد الجبال.
وقفت ألانا شاحبة اللون وعلامات التساؤ ل على وجهها. ووقف ماكس ومن غير ان يضيع وقتاً اخبرها مباشرة عن السبب الذي جاء من اجله. وهو انه آت ليصطحبها معه. ليحررها من الرجل الذي من اجله اجبرت على الزواج منه.
اصغت اليه صامتة حتى انهى كلامه ثم قالت بجفاء:
- هكذا اذن جئت تصحح خطأ ارتكبته، أليس كذلك؟
- لقد صدقت ذلك اليوناني عندما اخبرني انني سأحاكم واقاد الى السجن بالاضافة الى اعادة جميع الأموال التي قبضتها ثمن تلك الأرض. فاكتشفت ان كلامه كان ملفقاً. انه شخص ماكر حاذق. على اية حال، اعتبري نفسك حرة الآن، وسترتب أمور الطلاق في بلدنا. كما أني قمت بجميع الترتيبات لأعود بك على الفور، ومن حسن الحظ ان كونون غائب

عن البيت. علماً انه لم يعد عندي فارق ان كان موجوداً او لم يكن. فسوف يعرف كيف اخضعه.
- هل قلت أنك وكّلت محامياً ليبحث الأمر؟
قطعت ألانا كلامها عندما أومأ بالايجاب. ثم تابعت:
- وذاك المحامي اكد لك ان كونون لا يستطيع ان يفعل شيئاً؟
- تماماً، كما قال أنني لا اخضع لقوانين اليونان.
اطالت النظر في وجهه، ورأته كما رأته في تلك الليلة المشهودة عندما جعلها تقدم نفسها ضحية بأسلوبه الملتوي وطرقه اللولبية، حتى يتخلص من الانتقام الذي كان يهدده به كونون.
امتلأ صدرها بالغضب والاحتقار لهذا النوع من الرجال، وقالت:
- ألا تشعر أنك جئت متأخراً؟
كان صوتها هادئاً متزناً. قبل وقت قصير كانت سترحب بما يعرضه عليها اما الآن فقد جاء الأمر متأخراً. واضافت:
- لقد مضى شهران على زواجي!
هز كتفيه، وقد بدا نفاد الصبر في صوته:
- هذه الأمور لا يمكن اتمامها بسرعة، فهي تحتاج الى وقت. فقد ذهبت الى المحامي فور وصولي الى لندن. وكنت اهنىء نفسي على تلك السرعة التي تمت فيها جميع المعاملات.
- كان يمكنك ان تكتب لي تخبرني بذلك.
- في الواقع لم اكن ارغب ان ابعث فيك آمالاً قد تنهار في النهاية.
اطال النظر فيها ينتظر كلمة منها ولما لم تقل شيئاً، تابع يقول:
- لا أرى على وجهك علامات الترحيب بحريتك، وعودتك الى وطنك. الخادمة قالت ان كونون في اثينا. وهكذا يمكنك ان تجمعي ملابسك وتهيئي نفسك من غير ازعاج.
نظر الى ساعته، وتابع:
- المركب يغادر في غضون ثلاث ساعات. هل نتناول الطعام هنا، ام تفضلين ان نرحل على الفور، ونتناوله في كاليمنوس؟ من جهتي افضل ان نأكل هنا، لأنني لا ارغب في رؤية تلك المطاعم الموجودة على الميناء.
وبقيت ألانا صامتة وماكس يتكلم ويخبرها عن افتقاده لها، وسروره

وفرحه لأنه سيستعيد سكرتيرته الجميلة مرة اخرى في مكتبها الصغير قرب مكتبه. واضاف:

ـ كما انني لم اقطع الأمل في ان تكوني زوجتي. فبعد هذه التجربة لا بد انك تحبين ان تتزوجي رجلاً اكثر تحضراً وانسانية، وليس من المبالغة في شيء إن اسمينا كونون همجياً. الا توافقينني على ذلك؟

اصغت بهدوء. فر اللون من وجهها، بسبب وقاحته وجرأته على التفكير في الزواج منها بعد كل الذي حصل. عيناها الزرقاوان رشقتاه بنظرات الاحتقار والغضب. وتراءى لها زوجها كونون ذاك الذي عانى الكثير. . . والذي احبها كثيراً من غير ان تدري، حتى انه انتهج طريقة مجرمة ليجبرها على الزواج منه.

قطب ماكس حاجبيه وسأل:

ـ ما بك، بأي شيء تفكرين؟ هل هناك ما يقلقك؟

وأحست ان كل همه وكل ما يفرحه كان نجاته من السجن الذي كان يهدده. واخيراً سألت:

ـ ما الذي يجعلك تظن ان هناك ما يقلقني؟

كان صوتها هادئاً ولكن حاداً، مما جعله يقطب جبينه اكثر فأكثر، ويقول:

ـ اي امرىء يراك، يظن ان فكرة حريتك لم تعد تعنيك.

ـ الحرية من اي شيء؟

سألته باستهجان، واجابها بنفس الأسلوب:

ـ من هذا الجحيم، طبعاً.

ـ مدة شهرين لم تفكر في هذا الجحيم الذي تتحدث عنه، وتركتني هنا حتى من غير كلمة مواساة!

خفض عينيه، ولاحظت ان علامات الشعور بالذنب بدأت تظهر على وجهه. وقال:

ـ خجلت من نفسي، شعرت انني كنت حقيراً، صدقيني يا ألانا.

اشاحت نظرها عنه، تفكر، تعجب كيف يستطيع ان يصف زوجها بأنه همجي، ويتغاضى عن فعلته الشنعاء. ترى كيف آمنت في يوم من الأيام انه رجل شريف أمين! كيف انخدعت به طيلة هذه المدة؟ وتذكرت كلمات

امها عندما حذرتها بقولها، لا تغتري بالمظاهر بل انظري الى خفايا القلوب. ولكن كيف يمكن للمرء ان يصل الى خفايا القلوب؟ على اية حال فلعل ماكس يكون قد تعلم درساً لا ينساه مدى الحياة. . .

- ألانا. . .

كان صوت ماكس حاداً ولكن فيه رنة ألم وهو يتكلم:

- ألانا، كلميني. لقد قطعت هذه المسافة الطويلة دون اضاعة دقيقة واحدة من الوقت، لأزف لك البشرى، وأنت تقفين هكذا دون أي كلمة.

- دون أي كلمة شكر، أليس كذلك؟ فهل هذا ما يغضبك؟

- لست غاضباً.

- متعجباً اذن. لماذا تبدو بائساً؟

كتم ماكس غضبه، وتجاوز الجدل الذي لا يجدي، وقال:

- الا تستعدين للرحيل، لأصطحبك الى بيتك؟

التفتت اليه وشملته بنظرات ثابتة، وقالت:

- هذا هو بيتي يا ماكس.

- بحق السماء هل تحاولين ان تقولي لي، انك تريدين البقاء هنا؟ مع ذاك الهمجي!

واخذ يذرع الغرفة جيئة وذهاباً والغضب يشع من عينيه، ثم اضاف:

- حسناً، اعترف انني عاملتك معاملة شنيعة، ولكنني الآن جئت اصحح غلطتي، والطلاق سيتم في غضون وقت قصير.

- الطلاق؟ (كان صوتها بارداً كالثلج وهي تتكلم) ما الذي جعلك تظن انني اريد ان انفصل عن زوجي؟

دار ماكس على نفسه واخذ يسير وظهره باتجاهها، وقال:

- هل جننت؟ لا شك انك جننت!

- انا بكامل قواي العقلية.

اتسعت حدقتاه ونظر اليها، ولكن البريق الذي رآه في عينيها جعله يقول:

- اذن، لقد وقعت في حب ذاك الرجل، اخيراً!

اخذت ألانا نفساً عميقاً وهي تحس بخفقات قلبها، وبرودة يديها، وقالت:

ـ نعم، ماكس . . .

الكلمات جاءت بطيئة وبصعوبة، ولكن واضحة، صادقة، دون ادنى ريب في مشاعرها نحو زوجها. لقد خرجت ألانا من دوامة الشك، وعادت تقول:

ـ نعم، ماكس، كما قلت، لقد وقعت في حب زوجي . . .

ـ ولكن ماذا عنه هو؟ عن عواطفه؟

قال ذلك مقاطعاً اياها وهو يهز رأسه، وكأنه لا يصدق ما يسمع. ثم اضاف:

ـ لكنه لا يحبك، فأي امل لك في السعادة؟

وفجأة اختفى غضبه وتحول ثانية الى انسان لطيف واخذ يقنعها بالعودة معه الى انكلترا وان تخرج كونون من تفكيرها الى الأبد.

وعندما توقف اخيراً عن الكلام، تكلمت ألانا بمنتهى الهدوء فقالت:

ـ انك تضيع وقتك سدى يا ماكس. مكاني هنا مع كونون، الذي بعد كل شيء تزوجته بمحض ارادتي.

ـ لا ، ليس بمحض ارادتك! كيف تقولين ذلك؟

ـ انا التي اخترت.

ـ لقد اجبرت على ذلك.

بدت على شفتيها شبه ابتسامة، فقد كان يبدو ان ماكس نسي انه هو وحده المسؤول عن القرار الذي اتخذته قبل شهرين. على اية حال فقد وجدت ان لا فائدة من تحويل الحديث الى جدال. ولذا عادت واكدت له انها باقية مع زوجها ولن تتخلى عنه. وكان على ماكس ان يرضخ للأمر الواقع ويرحل. فودعها وهو يؤكد لها انها ستغير رأيها قريباً. وقريباً جداً.

وبينما كانا يعبران الفناء، قال:

ـ عندما يأتي ذلك اليوم وتغيرين رأيك فلا تتواني عن الاتصال بي. وسوف ارسل لك ما تحتاجين من المال لعودتك. وليعرف زوجك انه لم يعد له اي سلطان عليّ، وخدعته تلك قد انكشفت، وكذبه قد بان.

لماذا سمحت له ان يستمر في هذا الكلام لا تدري، وكل ما في الأمر انها لم تكن تبالي، او لعلها لم تكن تصغي اليه. وفي اللحظة التي كان يودعها سألته ألانا:

ـ هل جئت بسيارة اجرة؟
ـ لقد استأجرت سيارة من الميناء. وقد اوقفتها بعيداً في الممر.
ـ لماذا اوقفتها هناك؟
ـ اردت ان اصل الى البيت من غير ان يراني احد. وكنت ارجو ان اراك في الحديقة.
ـ تعني بذلك انك كنت لا تريد ان يعرف كونون بمجيئك، وان يتم الأمر بسرية كاملة. أليس كذلك؟
قطب ماكس حاجبيه، واجاب:
ـ طبعاً لا، لقد اخبرتك مسبقاً انني كنت مستعداً لمواجهة كونون.
وصلا الدرج، ولم يعد برغبتها ان ترافقه مسافة اطول، فقالت:
ـ وداعاً يا ماكس.
حدق فيها طويلاً، ثم نظر الى يديها اللتين لا تزالان الى جانبيها، وسأل:
ـ الا تريدين ان تصافحيني؟
مدت يدها ووضعتها في يده مصافحة. فهزها قائلاً:
ـ كنت اتمنى ان تعودي معي يا ألانا.
لم تعلق ألانا بشيء. فتابع يقول:
ـ هل انت حقاً سعيدة بالحياة مع هذا الرجل؟
ـ لقد عشت معه شهرين.
ـ هذه ليست اجابة، هل فكرت بالمستقبل؟
ـ انا احب كونون، ومستقبلي في هذه الجزيرة.
ـ ولكنه لا يحبك، لقد تزوجك من اجل الانتقام!
ـ لكن ظني انه تزوجني لأنه يحبني.
ـ على الظن؟ انت اذن غير متأكدة؟ لم يخبرك بذلك وهذا يبدو واضحاً.
ـ ماكس، من فضلك، دعنا نقول وداعاً، وضع حداً لهذه المناقشة غير المجدية. آسفة لأنني لم ادعك لتناول الطعام، ولكني اظن انك توافقني على انه من الأفضل لكلينا ان نقول وداعاً. وكما نوهت قبلاً يمكنك ان تأكل في احد المطاعم.
وبعد لحظات كانت تنظر وراءه وهو يمضي غاضباً في الممر الذي يؤدي

الى الطريق حيث ترك السيارة.

ظنت انه سيلتفت ويرفع يده للوداع الأخير، ولكنها كانت مخطئة.

استدارت وصعدت الدرج، كان ذهنها صافياً الآن، وقلبها منيراً، أكثر من أي وقت مضى في حياتها...

١٠ - انه هو الذي يحكم على نفسه بالتعاسة الدائمة ولا يحاول ولو محاولة بسيطة ان يخرج من أحزانه. حتى جدران غرفته تنطق بالمرارة...

مع تسليمها بأنها تحب زوجها، لم تعد تطيق انتظار عودته. على ان الخوف لم يفارقها، وهي لا تدري كيف يمكنها ان تزيل الصعوبات الكثيرة التي تسد الطريق الى سعادتها وسعادة كونون. فهناك الحزن العميق الكامن في اعماقه، المرارة التي يعيشها، ذكرى ولده التي هي اقسى ذكرياته. والعقبة الكبرى كيف يمكن ان تجعله يعترف بحبها؟ الحب الذي ادعت انه يحمله لها في قلبه، من غير ان يعترف به. وكيف يمكن ان يفعل وهو لا يزال يلومها، ويحملها مسؤولية كل ما يعانيه من اسى وحزن؟ وفي لحظة ضعف، تمنت لو انها قبلت عرض ماكس الذي قدمه لها. وهمست في نفسها:

- انا وكونون لا نستطيع ان نتجاوز كل ما حصل. ولو كان يحبني

حقيقة، فهو بالمقابل يكرهني. فكيف لهذا الحب ان يتغلب على الكراهية؟ ربما كان من الأفضل ان اعود الى انكلترا...

عند ذكر العودة، احست ألانا بالهزيمة. فكيف تقبل الهزيمة بعد ان تحررت من الشك وتأكدت من مشاعرها؟ اذن عليها ان تحارب من اجل انتصار هذا الحب. وتزيل كل العقبات، وتضيء طريق كونون، فيزول الضباب وتنقشع الغيوم، ويرى الحقيقة الدفينة في اعماق قلبه، يرى انه يحب ألانا. نعم عليها ان تحارب من اجل سعادتها، تلك السعادة التي اصبحت تتمناها من اعماقها.

على الأقل يجب ان تحاول، وتقبل الهزيمة فقط عندما يظهر لها ان كونون غير قادر على نسيان الماضي. ولكنه سيفعل، سيبدأ حياة جديدة، فهو لا يزال شاباً، بالرغم من السنوات التي اضافتها عليه الهموم. لقد كان جميل الصورة في الماضي، ويمكن ان يعود كذلك عندما تزول عن وجهه امارات الكآبة والحزن والكراهية. لقد ضحك مرة، وبإمكانه ان يفعل من جديد اذا حاول ان يضحك ثانية.

بعد ذهاب ماكس بدقائق معدودة، رن جرس الهاتف، وجاء صوت كونون حلواً عذباً على غير ما كانت تتوقع، يخبرها انه سيعود في الليلة التالية. ردت ألانا عليه بلطف انها سعيدة لأنه انهى عمله بسرعة.

ـ سعيدة! هل اصبحت مؤدبة ام دبلوماسية؟

ـ لا هذه ولا تلك وانما اقول الحقيقة.

مرت لحظة من الصمت وألانا تنتظر، ولكنها سمعت ضحكة سخرية قبل ان يقول لها:

ـ يجب ان يكون العشاء جاهزاً في تمام الساعة الثامنة.

ـ سوف افعل.

واحست بشيء من القلق وهي تسمع سماعة الهاتف توضع مكانها. وشعرت ان مثل هذه البداية لا يمكن ان تبشر بأمل. على اية حال فهي لم تكن تتوقع نجاحاً مباشراً هكذا ومن خلال الهاتف. فهي تعرف انه ليس من السهل ولا بهذه السرعة يمكن ان يعود زوجها الى طبيعته الأولى. فان لديها الوقت... ولديها الأمل ايضاً.

اغتسلت ألانا وارتدت ثيابها استعداداً للعشاء الذي لم يحن ميعاده بعد.

ولكن لأمر ما لا تعرف له تفسيراً، سارت نحو غرفة نوم كونون. دفعت الباب، ودخلت للمرة الأولى. كانت الغرفة قليلة الأثاث، بسيطة جداً، خالية من كل زخرف. تنسدل على نوافذها ستائر داكنة اللون. جالت ألانا بأنظارها في الغرفة وهزت رأسها متعجبة من هذه القسوة التي يعامل بها كونون نفسه. انه هو الذي يحكم على نفسه بالتعاسة الدائمة، ولا يحاول ولو محاولة بسيطة ان يخرج من احزانه، حتى في غرفته الخاصة التي يأوي اليها ليرتاح. ترى الكآبة تغمرها، والمرارة تنطق بها جدرانها...

كان كتاب ملقى هناك على الطاولة. وصورة من الممكن ان تكون قد سقطت منه. وثار الفضول في نفسها، تقدمت والتقطتها، وشهقت وعلى شفتيها كلمة واحدة:

- نصبي...

انه ابن كونون. طفل جميل جذاب، بشعر اسود متموج، وعينين رماديتين لامعتين. يشبه اباه حتى في هذه السن المبكرة. اخذت تنظر الى الصورة ولكنها استدارت فجأة عند سماعها خطوات ثابتة هادئة خارج الباب. تمتمت ألانا بفزع:

- أنت! لقد عدت مبكراً. لم اكن اتوقع قدومك الآن.

- ماذا تفعلين؟

سألها وعيناه تستقران على الكتاب الذي كان لا يزال في احدى يديها. ثم تحولت نظراته الى الصورة التي كانت تمسكها باليد الأخرى، واضاف:

- ضعي هذه من يدك.

- أنا آسفة كونون...

تكلمت بصوت منخفض، وهي تضع الصورة على الطاولة. واضافت:

- لم اكن اقصد...

قاطعها غاضباً:

- ماذا تفعلين هنا؟

- لا شيء. دخلت فقط، فوجدت الصورة ملقاة على الطاولة، وحسبت انها ربما سقطت من الكتاب، فأردت اعادتها. كونون، لا يوجد سبب يثير غضبك.

ولكنه اقترب منها وأمسك بذراعها بقسوة. صرخت، ولما تبدد الضغط، لم تستطع ان تحبس دموعها.

عندما رأى الدموع في عينيها تخلى عن ذراعها، وتراجع عنها قليلاً الى الوراء، بعد ان اخذ الصورة من يدها، ثم قال:

ـ انها صورة ولدي.

كان صوته يحمل كل معاني الرقة والحنان، ثم اضاف:

ـ انت تعرفين انه كان لي ابن، أليس كذلك؟

احنت رأسها بالايجاب، وعندئذ اراد ان يعرف كيف علمت بذلك. ولما لم تكن تريد ان تقحم كاتينا في الموضوع، اخبرته انها عرفت الأمر من الذين يسكنون القصر.

احنى رأسه وهو يحس بدوار نسي معه ان يلومها على ذهابها الى القصر في غيابه، مع انه منعها من ذلك. ولكنه تماسك وقال:

ـ نعم انهم يعرفون حكاية الطفل، ولكني لا اعلم من اين لهم ذلك.

ـ كان طفلاً جذاباً محبوباً.

تكلمت ألانا بلطف، وتأثر عميق يشوب نبرات صوتها، من اجل كونون الذي بدا امامها رجلاً عجوزاً، رجلاً يتمنى ان ينهي حياته لو يستطيع.

امسك كونون الصورة وحدق فيها هنيهة ثم وضعها في الكتاب، ومن غير ان يضيف اية كلمة اخرى، ذهب الى الحمام.

بقيت ألانا فترة واقفة هناك، تهزها العواطف. قلبها يخفق بشدة بين جنبيها، وفي عينيها تترقرق الدموع. ولما سمعت صوت الماء في الحمام، استدارت وذهبت الى غرفتها.

كان من سوء حظها انها لم تخرج من غرفته قبل مجيئه. ولكن على اية حال يكفي انه علم بمعرفتها قصة ابنه.

خيم على العشاء جو من الكآبة والصمت المطبق. ولكن بعد الانتهاء منه، اخذ يتكلم كعادته ونبرات السخرية تبدو في صوته:

ـ ماذا كنت تفعلين في غيابي؟ لا شك كنت تتمنين الا اعود بهذه السرعة.

اجابت ألانا بلطف وهي تنظر في عينيه:

- لقد اخبرتك على الهاتف انني كنت سعيدة، لأنك اتممت اعمالك بسرعة. وكنت اعني كل كلمة قلتها.
قطب حاجبيه، وقال:
- هل تتوقعين ان اصدقك؟
امام عدم تصديقه، سكتت قليلاً. كانا في ذلك الوقت يجلسان على الشرفة، يطل عليهما البدر بوجهه الفضي، يلقي على عتمة الليل وشاحاً وضاء بين نسائم المساء الدافئة العليلة، المحملة بأريج الزهور. ليلة تهز العواطف الكامنة، يطمئن اليها المحبون، وينسون فيها جميع متاعب الحياة. تلفتت ألانا حولها، وسألت بلطف وعلى شفتيها ابتسامة عذبة:
- هل من الصعب عليك ان تصدقني؟
كان اسلوبها يتناسب مع قرارها الجديد. تحاول ان تقود زوجها في طريق اقل وعورة من تلك المسالك الشائكة التي يسير فيها منذ مدة طويلة. ولكنها لم تر في عينيه استجابة، ومن الممكن انه لم يلاحظ اية رقة في صوتها ايضاً. ولكنه بعد صمت قصير، قال:
- من الصعب جداً ان اصدق. كما اني لا اجد سبباً يجعلني افعل. انا سألتك سؤالاً فأجيبيني عليه.
- كنت اقرأ كالعادة، كما اني زرت جوليا ودونيس في القصر.
- الم اقل لك الا تعودي لزيارتها؟
- لقد قامت بيني وبين جوليا رابطة صداقة، انا سعيدة بها. واني آسفة يا كونون، فأنا لا اريد ان اقطع هذه الصلة.
- انت تفعلين فقط ما آمرك به.
تريثت قليلاً لتحبس الغضب الذي ثار في داخلها. ثم قالت بلطف:
- ما هو سبب عدم ميلك اليها؟
حول نظراته عنها، ولاحظت ألانا ان ملامح وجهه غدت تبدو اقل قسوة، ثم اجاب:
- ان اسبابي لا تخصك. كل ما يخصك هو ان تلبي رغباتي فحسب. اراك مختلفة هذه الليلة. هل حدث شيء جديد في غيابي؟
- اجل كونون...
تسلل الاحمرار الى خديها، وعيناها يشع فيهما بريق عجيب. وعلى

شفتيها استرخت ابتسامة ساحرة، وخرجت الكلمات بأكثر ما تكون الرقة واعمق ما يكون الحنان عندما قالت:

ـ كل ما في الأمر، كونون، اني اكتشفت اني احبك!

هل تراها تسرعت بنقل مشاعرها اليه؟ وان الوقت لم يحن بعد؟ ما كان عليها ان تطلعه على ما يجيش في صدرها. ولذا تداركت ذلك بقولها:

ـ لم يحدث اي شيء يذكر.

ـ لقد كذبت ألانا، لقد حدث الشيء الكثير ولكن. . .

كانت ألانا تفكر بزيارة ماكس، وتمنت ألا يعرف عنها شيئاً.

أخذ كونون ينظر اليها، تطل من عينيه نظرات غريبة لم تعرف ألانا لها تفسيراً.

وتساءلت ترى ماذا كان وقع كلمات الحب على نفسه؟ فهو لم يقل شيئاً ولم يبد على وجهه اي تأثر. . . ولكنه اخيراً قال:

ـ هل افهم من ذلك، انك اقتنعت اخيراً بأن الحياة افضل لو انك خضعت لسلطتي؟

فر اللون من وجه ألانا، وارتجفت شفتاها، اهذا كل ما عنده ليقول؟

ـ اصغ الي، وصدقني مرة واحدة.

ولما لم يجب وقفت وهي تقول:

ـ اذن ستتحدث في صباح الغد.

لكنها توقفت، فقد رأت زوجها يهز رأسه، وقد تبدلت ملامح وجهه وأحست انه يريدها ان تتكلم، وان يصغي اليها، فقالت:

ـ اتعني انك تريدني ان اتكلم الآن؟

ـ بدأت أفكر انه اذا تكلمنا، فهناك الشيء الكثير ليقوله أحدنا للآخر، أليس كذلك؟

وكانت المعجزة. اخيراً يريدها ان تتكلم، ويحب ان يسمعها. يجب عليها قبل كل شيء ان تبرر له زواجها المشؤوم ذاك، وسبب قبولها به، ولكنها بدل ذلك اخذت تسمعه احاديث الهوى الكامنة في اعماقها. كلماتها الرقيقة العذبة، انقطعت فجأة، وصرخة رعب حلت محلها. فقد اصطدمت وبحركة غير مقصودة بشمعدان كانت تقف بجانبه وسقط على الأرض.

لحق اللهيب بأطراف ثوبها الطويل. ومع ان كونون قفز نحوها لحمايتها الا انها كانت اسرع منه ونزلت الدرج راكضة تبتعد عن المشعدان.

تبعها كونون، وهو يصيح:

ـ ألانا. . . حبيبتي! لا تركضي في الهواء.

حبيبتي، يا لله، لقد سمعته ينطق بالكلمة التي تنتظرها، فالتفتت بسرعة نحوه، ولكنها في تلك الحركة داست على طرف ثوبها فتعثرت واصطدم رأسها بأحد الأعمدة الرخامية. رأت النجوم عالية في السماء، وكان هذا آخر ما رأت. حتى استفاقت لترى جوليا تقف الى جانبها. فسألت والدهشة في صوتها:

ـ أين أنا؟

ـ في القصر، كيف تشعرين الآن؟

رفعت ألانا يدها الى رأسها المصاب وتذكرت كل ما حدث لها وقالت:

ـ لماذا أنا هنا يا جوليا؟

ـ زوجك هنا، وسيخبرك بكل شيء.

ـ كونون، هل هو ايضاً هنا؟ ما الذي حدث؟

ولكن جوليا ذهبت، والباب اغلق. وكونون اقترب من الفراش شاحب اللون، مسود الثياب تفوح منها رائحة الحريق.

نظرت ألانا اليه، والتقت عيناها بعينيه، فرأت كونون الذي تعرفه منذ تسع سنوات خلت.

ـ ألانا عزيزتي، يا حبيبتي. . .

كان متعباً، لا يريد اكثر من ان يكون قريباً منها. جلس على حافة السرير، وتناول برفق يديها بين يديه، وعانقها بحنانٍ.

ـ كونون، لماذا نحن هنا؟

ـ لقد شب الحريق في البيت!

ـ احترق البيت؟ كيف؟

فأخبرها ما حدث باختصار ساعة كانت فاقدة الوعي وهو مشغول باسعافها. ان لهيب الشموع التي سقطت مع الشمعدان، امتد وأشعل النار في مقدمة البناء.

سكت لحظة يحدق فيها بشوق، ثم اضاف:

ـ ولكني لم انتبه للنار التي تلتهم المكان ويرتفع لهيبها في العلاء، فقد كنت مشغولاً بك، خائفاً عليك. ولولا ان دونيس وزوجته كانا راجعين من زيارة احد اصدقائهما، ورأيا اللهيب يرتفع من بين الاشجار، وجاءا على الفور، لأصبحت الفيللا جميعها رماداً. ومن يدري، كان من الممكن ايضاً ان يذهب كلانا طعمة للنار.

ونظر اليها بعينين يشع فيهما بريق الحب وهو يتابع:

ـ المهم انت يا ألانا. كيف أنت الآن؟ لقد كنت طيلة مدة اغمائك تهذين.

ـ كنت اتكلم؟ عن اي شيء؟

تطلعت اليه والحب يملأ عينيها، فابتسم لها وقد اختفت من وجهه جميع التجاعيد التي حفرتها آلام السنين الماضية. وقال:

ـ عن كل شيء. عن زواجك الذي اجبرت عليه.

ـ آه لو انك تركت لي فرصة الكلام من قبل لوفرت علينا كثيراً من المتاعب.

ـ بالله، كم عانيت يا ألانا.

نظر كونون الى وجهها الذي اصطبغ بحمرة الخجل، واقترب منها اكثر ورفع يدها الى شفتيه. ثم اضاف:

ـ ألانا، لماذا لم تحدثيني عن زيارة ماكس؟

ـ الم تقل انني حدثتك عن كل شيء، وأنا مغمى علي؟

وضحكا معاً ضحكة فرح مليئة بالسعادة. ثم قال:

ـ وقد عرفت ايضاً الحديث الذي دار بينك وبين كاتينا، وأنك عرفت منها سر مأساتي، حكاية ولدي...

وعند ذكر ولده، مرت على وجهه سحابة ألم وتوقف هنيهة عن الكلام، ثم تابع:

ـ اريد ان اخبرك شيئاً لا زلت تجهلينه، ألانا، فدونيس كان صديقاً للطبيب الذي كان يعالج ولدي في حالات مرضه. وعرف منه ان ابني كان سيعيش عليلاً طول عمره لو بقي على قيد الحياة، فهو كان يعاني من مرض في دماغه منذ الولادة.

ـ هل انت متأكد من ذلك؟

ـ نعم. لكن الشيء الغريب، انني كنت اشعر في البدء ان هناك علة ما في الطفل منذ الولادة، ولكني لم استطع تحديد ماهيتها. ولذا تغاضيت عن الأمر ويبدو ان دونيس كان يعرف ذلك طيلة الوقت. ولم يخبرني سوى ليلة امس. لأن زوجته رجته ان يفعل من اجل سعادتنا أنا وأنت.

وتذكرت ألانا عند هذا القول، يوم اخفت جوليا عنها الحديث الذي دار بينها وبين زوجها، وشعرت حينذاك ان دونيس منعها من الكلام. لقد عادت جوليا اليها عندئذ وهي في غاية الاضطراب، ولكنها لم تبح بأية كلمة. وها هي الآن تطلب من زوجها ان يخبر كونون.

ولما لم تقل ألانا شيئاً، تنفس عميقاً، ثم قال:

ـ لقد كنت غبياً، حملتك الأحزان كما فعلت، وقسوت عليك كما قسوت على نفسي. سامحيني. قولي انك ستسامحينني.

اقتربت منه فعانقها برقة فيها كل معاني الحب. ثم قالت:

ـ لقد سامحتك يا كونون. اني احبك.

قالت تلك الكلمات بكل بساطة وطيبة، واضافت:

ـ هذا ما كنت اقوله عندما سقطت تلك الشموع.

ـ اجل، وقد قلت وأعدت كل هذا عندما كنت تهذين.

ـ آه يا عزيزي! هل تعرف ان ماكس اكتشف خدعتك؟

ـ حقيقة كانت خدعة. ولكن كان علي ان افعل ذلك لتكوني زوجتي. مع أني كنت أكرهك لأنك رفضت الزواج مني ولكن كرهي ذاك كان أقل بكثير من حبي لك.

اقتربت ألانا أكثر فأكثر، وألقت برأسها المجروح على صدره، وتمتمت هامسة:

ـ أما الآن فالحب فقط.

وكانت موافقته المفضلة:

ـ انه الحب والحب وحده، الآن والى الأبد.

روايات عبير

روائع الأدب الرومانسي

- زوجة الهندى
- السر الدفين
- طال انتظاري
- الوجه الآخر للذئب
- برج الرياح
- الماضي لايعود
- لقاء الغرباء
- وردة قايين
- عصفور فى اليد
- الغيمة أصلها ماء
- الهوى يقرع مرة
- خيط الرماد
- الصقر واليمامة
- حتى تموت الشفاه
- أصابع القمر
- وعاد فى المساء
- القرار الصعب
- الفريسة
- أريد سجنك
- خطوات نحو اللهب
- دمية وراء القضبان

- عذراء فى المدينة
- الامواج تحترق
- العروس الاسيرة
- رجل بلا قلب
- سيدة القصر الجنوبى
- شهر عسل مر
- عيناك بصري
- من أجل حفنة جنيهات
- رجل من نار
- نداء الدم
- ليالي الفجر
- ما أقصر الوقت
- قلب فى المحيط
- المجهول الجميل
- الزواج الابيض
- أقدام فى الوحل
- قال الزهر آه
- كيف أحيا معك
- غضب العاشق
- مزرعة الدموع
- الواحة

- آخر الأحلام
- هل تخطىء الانامل
- البحر الى الأبد
- الحصار الفضي
- الشبيه
- الكذبة
- الندم
- انت لي
- جراح باردة
- طائر بلا جناح
- عاطفة من ورق
- قطار فى الضباب
- قل كلمة واحدة
- مندلا
- تعالى
- السعادة فى قفص
- هاربة
- هذيان
- أرياف العذاب
- اللهب والفراشة
- لا ترحلي

روايات عبير

روائع الأدب الرومانسي

الضائعون
صرخة البرارى
دليلي
دخان
الثأر
وفازت
خذ الحب واذهب
اللؤلؤة
لا تقولى لا
المجهول
بين السكون والعاصفة
رمال فى الأصابع
الشريدة
شاطىء العناق
ذهبى الشعر
تعالى إلى الأدغال
الفخ
فى قبضة الأقدار
دليلة
القيد
الماس اذا التهب

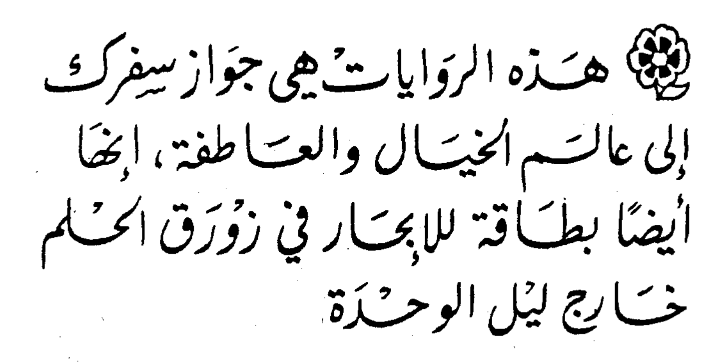
الحمقاء الصغيرة
حائرة
نهر الذكريات
نبع الحنان
اليخت
إثنان على الطريق
سيد الرعاة
غفرت لك
عنيد
صعب المنال
أين المفر
القرصان
اللمسات الحالمة
لحظات الجمر
النجمة والجليد
توأم التنين
البحار الساحر
جرح الغزالة
لمن ترف الجفون
الشمس والظلال
أنين الساقية
شريك العمر

سمعاً وطاعة
أيام معها
صحراء الثلج
الأغنية المتوحشة
بانتظار الكلام
يدان ترتجفان
ممر الشوق
المفاجأة المذهلة
أسوار وأسرار
الإرث الآسر
عروس السراب
الحد الفاصل
الحصن المرصود
كالسحر
تناديه سيدي
أعدني إلى أحلامي
المنبوذة
الخطاف
الوعد المكسور
السجينة
الخلاص
هديتي

روايات عبير

روائع الأدب الرومانسي

أرجوحة المصير	لو لم تسافر
الراية البيضاء	لقاء واحد يكفى
العذاب إذا ابتسم	مصارع الثيران
الرجل الفراشة	مازلنا غرباء
أنشودة البحيرة	نصف الحقيقة
النصف الآخر	منارة فى الأنواء
دورها فى اللعبة	وحدهما فقط
حورية التلال	أطياف بلا وجوه
سيدة نفسها	البحث عن وهم
دون أن تدرى	الوادى السرى
ضحية	بحر العتاب
صخرة الأمنيات	بين الحلم والواقع
عقد الأصداف	عروس إبليس
عد فقيراً مثلى	فصول النار
لا تعتذرى أبداً	قيد الوفاء
قبل أن ترحل	لا أحد سواك



❀ هذه الروايات هي جواز سفرك
إلى عالم الخيال والعاطفة، إنها
أيضًا بطاقة للإبحار في زورق الحلم
خارج ليل الوحدة

❀ تأخذك هذه الروايات إلى حيث
تشعّ منارة اللقاء، ويربح الحبّ كلّ جولة
مع السّعادة

❀ في روايات عبير أصابع الحنان تغيّر
مجرى الأيام نحو ربيع المشاعر

❀ إنّها دنيا الحب، تجمّعت في سطور...



مِنَ القلبِ ... إلى القلبِ

